الباب الثانى : الفصائل اللغوية واللغات السامية

- الفصائل اللغوية .
- الموطن الأصلى للساميين والعرب .
- هجرات الساميين ولغاتهم .

تمهيـــد:

كان حديثنا عن اللغة الإنسانية الأولى، طريقا مؤديا، إلى الحديث عن اللغات البشرية، باعتبارها ناشئة عنها، لأن هذه اللغة الأولى، وإن كانت مفقودة لا نعرف أصولها – على وجه التحديد – فإنها – ولاشك – تترك آثارها فى لغات العالم، التى تفرعت عنها.

والمعروف، أن الإنسان الأول – كانت له لغة واحدة، ثم تشعبت نتيجة كثرة التناسل، وتوزع الجنس البشرى، فى بقاع الأرض، بحثا عن القوت، والمأوى أو عن وسيلة، من وسائل الحياة، التى دفعته إليها، أحواله وتطلعاته.

وقد تفرق أبناء نوح، سام وحام و يافث – على ماهو معروف – فى نواحى الأرض المختلفة، وأقام نسل كل منهم، فى منطقة معينة، صارت مقرا لهم فيما بعد.

وقد أدى هذا التفرق، وتلك الإقامة إلى مواجهة أمور خاصة، أثرت فى لغة هؤلاء الأبناء، ونسلهم، وطبعتها بطابع خاص، جعل لها مميزات انفردت بها كل منها، وأطلق على كل اتجاه استقل به أصحابه، لغة معينة.

وهذا الانقسام مظهر واقعى، أدت إليه مغادرة المقر الأصلى، الذى كان فيه هؤلاء جميعا، واختلاف عوامل اجتماعية كثيرة، عليهم تسببت فى استقلال لهجاتهم، وبروز خصائصها.

وهذا يؤيده (علم اللغة) الذى يضع قوانين لتطور اللغات وتشعبها.

وبمرور الزمن كثر التشعب، وزاد الانقسام، بزيادة الجنس البشرى، وكثرة المناطق، التى يقيمون بها حتى نشأت لهجات عديدة، أدى طول بعدها عن بعض، إلى صيرورتها، لغات مستقلة.

وقد بحث العلماء، هذه اللغات التى تعيش فى مناطق الأرض المختلفة، بين شعوب، و أجناس متعددة، وقسموها إلى فصائل، وأطلقوا عليها تسميات متعددة.

فالآن توجد على ظهر الأرض، لغات متعددة، تبعا لتعدد الأجناس البشرية

وانتشارها، فى مناطق مختلفة، وتحت ظروف مختلفة، وهى كثيرة، وقد قسمها العلماء إلى مجموعات، حسب تفاوت نظراتهم:

١- التقسيم إلى ثلاث فصائل: يافثية وحامية وسامية:

اعتمد أصحاب هذا التقسيم على ما ورد فى سفر التكوين من أن الطوفان أغرق جميع سكان الأرض، وبقى نوح، وأولاده الثلاثة، يافث، وحام، وسام.

٢- التقسيم - على أشهر الآراء - إلى ثلاث فصائل:

هندية أوربية أو آرية أو يافثية، وطورانية[١]، وسامية حامية:

اعتمد أصحاب هذا التقسيم علي نظر بعضهم، إلى القرابة بين اللغات، فى بنيتها، وتراكيبها، وعلى نظر بعضهم الآخر إلى الروابط الاجتماعية، والسياسية والثقافية، والبيئية، التى تكون بين اللغات، وكان لهؤلاء وأولئك تقسيمات لغوية، بناء على ما ذهبوا إليه من أسس، وأشهر تلك التقسيمات ما ذهب إليه (ماكس مولر) العالم الألمانى، وهو هذا التقسيم الثانى.

٣- التقسيم الى ثلاث فصائل: متصرفة، ولاصقة، وعازلة:

وهو تقسيم شليجل Schlegel وجمهرة من علماء اللغة.

اعتمد أصحاب هذا التقسيم، على تصرف اللغات وعدم تصرفها[٢].

وسنسير على التقسيم الأول، باعتباره مبنيا على انقسام الأصل الواحد، وتشعبه ووجود وجوه الشبه فى المجموعة اللغوية الواحدة.

أما التقسيم الثانى، فقد أدخل الطورانية، وهى أمشاج من لغات شتى، منتشرة فى شرق أوروبا، وشمالى آسيا، لا تجمعها قرابة، أو رابطة، لكن ماكس مولر هو الذى أطلق عليها هذا اللقب.

---

(١) أطلق ماكس مولر ويونسن اسم اللغات، الطورانية على طائفة من اللغات الآسيوية والأوروبية التى لا تدخل تحت الفصيلتين السابقتين: الهندية الأوروبية والسامية الحامية وهى: كالتركية والتركمانية والمنغولية والمنشورية والفينية.. إلخ فقه اللغة د. وافى ص١٨٨.

(٢) انظر ص ١٦٧ من هذا الكتاب.

هذا فضلا عن أن القائلين بها لم يدخلوا تحتها جميع اللغات الإنسانية الخارجة عن الفصيلتين المذكورتين بل قصروها على طائفة منها وهى بعض اللغات الآسيوية والأوروبية[١].

والسامية والحامية، وإن كانت بينهما صلات، وروابط قربى، قديمة يقتضى البحث اللغوى الدقيق، الفصل بينهما، على أن كلا منهما تمثل فصيلة خاصة.

وأما التقسيم الثالث، فمن شأنه أن يتناول - بالبحث - لغات غير متشابهة الأصل، وعلم اللغة الحديث يقسم اللغات على أساس القرابة، وأوجه التشابه.

* * *

أولا - الفصيلة اليافثية أو الهندية الأوروبية

هى تلك المجموعة التى ترجع إلى المتكلمين بها من نسل يافث بن نوح، وقد اختلف فى موطنهم الأول، فقيل: إنه كان بالمناطق الروسية، بأوروبا الشرقية وقيل: إنه كان بمناطق بحر البلطيق[٢].

ويتكلم بها الآن كثير من شعوب أوروبا وأمريكا، وأستراليا، وجنوب أفريقيا.

وتشمل هذه الفصيلة عديدا من اللغات، تتلخص فى ثمانى طوائف:

١- اللغات الهندية والفارسية:

وتسمى (اللغات الآرية) وتنتشر فى بلاد الهند وإيران.

٢- اللغات الأرمينية:

٣- اللغات اليونانية:

القديمة والحديثة (التى نشأت فى القرن السابع الميلادى) وما تتكلم به اليونان فى عصرنا الحاضر.

---

(١) علم اللغة د. وافى ١٨٨، ١٨٩. (٢) بين السويد وفنلندا والاتحاد السوفيتى.

٤- اللغات الألبانية:

٥- اللغات الرومانية:

ومن فروعها (اللاتينية) التى انقسمت إلى عدة لغات، هى: البرتغالية، والأسبانية، والفرنسية، والإيطالية، ولغة رومانيا.

٦- اللغات الجرمانية:

الغربية، والشمالية، فمن فروع القسم الغربى، الإنجليزية، والألمانية والهولندية، ومن فروع القسم الشمالى: السويدية، والنرويجية، والدنمركية.

٧- اللغات الكلتية:

ولها بقايا فى إقليم أيرلندا والبريتون الواقع فى غربى فرنسا.

٨- اللغات السلافية:

بفرعيها: البلطيقى، والصقلبى. فمن الأول: البروسية القديمة. والليتوانية، ومن الثانى: الروسية والتشيكية.

ثانيا - الفصيلة الحامية

هى تلك اللغات التى ترجع إلى سلالة حام بن نوح. وقد انتشرت فى شمالى أفريقيا وشرقيها، وهذه الفصيلة تشمل لغات كثيرة منها:

١- اللغة البربرية:

ويتكلم بها السكان الأصليون فى شمالى أفريقيا كليبيا وتونس والجزائر والمغرب والصحراء والجزر المتاخمة لها وغيرها من دول الشمال الأفريقى.

ومنها اللغات القبيلية والشاوية (اللغات القديمة لسكان الجزائر) والتوارج (لغات قبائل صحراء المغرب) واللغات الجوتشية (لغات السكان الأصليين لجزر قناريا بالمحيط الأطلسى).

٢- اللغة المصرية القديمة:

وهى تلك اللغة قبل اتصالها باللغة السامية.

٣- اللغة الكوشيتية:

ويتكلم بها السكان الأصليون فى شرق أفريقيا، فثلث الحبشة - تقريبا - يتكلم بها[١] (ماعدا المناطق الحبشية الناطقة بلغات سامية) وتشمل الصومالية ولغات الجالا والبدجا ودنقلة إلخ.

ثالثا - الفصيلة السامية

هى التي ترجع إلى سلالة سام بن نوح. وهذه التسمية ترجع إلى ما أخذ من سفر التكوين، وقد أطلقها على تلك المجموعة من اللغات العالمان الألمانيان (شلوتزر) و(ايكهورن) فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى، وعلى الرغم من عدم دقتها فإنها ذاعت، وعرفت بها هذه المجموعة. لسهولتها، وانتشارها.

وهذه المجموعة تقع فى منطقة تمتد فى بعض آسيا وبعض أفريقيا وبعض لغاتها قد انقرض، وبعضها الآخر لا يزال حيا، وهى تشمل اللغات: البابلية والآشورية. والفينيقية. والآرامية. والعبرية. والعربية، والحبشية وكل ما تفرع عنها[٢].

---

(١) لضعف الصلات بين لغات هذه الفصيلة، قسمها بعض الباحثين إلى مجموعات مستقلة هى: البربرية - المصرية- الكوشيتية.. إلخ.

(٢) توجد تسع عشرة فصيلة لغوية أخرى قامت بدراستها جمعية علم اللغة بباريس فى كتاب (لغات العالم). ومن تلك الفصائل:

١- **اللغات اليابانية**. ٢- **اللغات الطورانية**: ومنها المنغولية والتركية.

٣- **اللغات البنطوية**: المنتشرة فى منطقة كبيرة من جنوب أفريقية كالصومال والكاميرون.

٤- **اللغات الملايوية** - البولينزية: ومنها: الأندونيسية - والميلانيزية.

٥- **اللغات الكورية**. ٦- **اللغات الصينية - التبتية**.

٧- **اللغات الدرافية**: وكانت لبعض سكان جنوب الهند قبل أن يهاجر إليها الآريون.

٨- **اللغات الاسترالية الآسيوية**: وتنتشر فى الجزء الآسيوى الجنوبى المنحدر إلى استراليا.

٩- **اللغات السودانية والغانية**: وهى كثيرة أوصلها بعض العلماء الى ٤٣٥ لغة.

١٠، ١١- **اللغات القوقازية**: ماعدا بعضها السامى والهندى الأوروبى والأورالية الألتائية. وتشمل الفصيلة القوقازية الشمالية مثل الساموية وفصيلة اللغات القوقازية الوسطى وتشمل الجورجية واللازية إلخ.

١٢- **لغات سكان استراليا** ١٣- **اللغات الأمريكية**.

١٤- **لغات السودان**. ١٥- **لغات البوشيمان والهرتنتوت والنيجريين**.

انظر: علم اللغة د. وافى ١٧٩ - ٢٠٨.

الموطن الأصلى للساميين والعرب

كلنا يعلم أن الإنسان وجد على ظهر هذه الأرض ولكن أمر وجوده فى بقعة واحدة أو أكثر محل خلاف بين العلماء والباحثين، ومهما تكن طبيعة هذا الخلاف ومداه فلابد أن يكون بنو البشر قد عرفوا مقرا واحدا لهم منذ فجر التاريخ، وهذا المقر قد اختلفوا فيه أيضا، ومعظم المؤرخين على أن البقعة التى نزل بها الناجون من الطوفان نوح وتابعوه كانت المنطقة المجاورة لمنابع سيحون وجيحون أو بعض جهات أرمينية، ويقرر بعض المفسرين أن الجودى الذى رست عليه سفينة نوح هو جبل (أرارات) فى هضبة أرمينية فهذا المكان أو ذاك ربما كان الموطن الأصلى للبشرية جمعاء قبل انفصالها وانقسامها، وفى تلك المنطقة كان يعيش الآريون والساميون والحاميون وهم نسل أولاد نوح الثلاثة سام وحام ويافث الذين تنسب اليهم الأجناس البشرية.

وهناك كثر التناسل وضاقت الأرض بهم فبدأ بعضهم الهجرات المتعددة بحثا عن القوت والاستقرار.

« وكانت الجزيرة العربية وسوريا وفلسطين وأرض الرافدين الموطن التاريخى للشعوب السامية وقد أقامت فيه إقامة ثابتة متصلة ولكن ليس معنى هذا أنها لم تنتشر وراء حدود تلك البلاد فى غزوات تتفاوت فى مداها وطول زمنها أو للإقامة فى مناطق أخرى إقامة دائمة كالهجرة إلى الحبشة على الساحل الأفريقى المواجه لليمن وتأسيس الدولة الفينيقية فى أرض كنعان[1] وإنشاء المستعمرات فى بعض جزر البحر الأبيض المتوسط وعلى سواحله الشمالية والجنوبية ».

وقد استعمل العلماء الأوروبيون قرب نهاية القرن الثامن عشر لفظ « الساميين » اسما مشتركا لتلك المجموعة من الشعوب التى ينتمى اليها الآراميون والأشوريون والعبريون والتى تتضح قراباتها من لغاتها دون لبس أو إبهام وبعد

---

(١) يقول ابن سيدة فى كتابه المخصص : وكنعان بن سام بن نوح وإليه ينسب الكنعانيون وكانوا أمة يتكلمون بلغة تضارع العربية . انظر المخصص ٣ / ١٦٧ .

هذا أسند هذا الاسم إلى بقية الفصيلة السامية بعد أن كشف علم الآثار عن شعوب أخرى لها صفات مماثلة[١] «وهم البابليون والفينيقيون والعرب والأحباش»[٢].

ويدور نقاش وجدل حول الموطن الأصلى للساميين الذى نزل فيه أبناء سام ابن نوح بعد نزوحهم من الموطن الأصلى للبشرية كلها.

فذهب فريق إلى أن الموطن الأصلى للساميين كان بلاد أرمينية[٣] بالقرب من حدود كردستان وهو الموطن الأصلى للشعبين السامى والآرى معا ثم انحدروا منه إلى المناطق الأخرى بأرض الرافدين وسوريا وفلسطين والجزيرة العربية.

ومن هذا الفريق أرنست رينان وفريتز هومل وبيترز[٤] وفن كريمير وأجنازيو جويدى ودرايفر وغيرهم ولهم فى ذلك أدلة وملاحظات لم تثبت صحتها ولم يؤيدها البحث العلمى الموضوعى.

فأرنست رينان الفرنسى عرض لهذا الرأى فى كتابة «التاريخ العام للغات السامية» الذى ألفه فى منتصف القرن الثامن عشر وفيه تحامل على الساميين وآراء دلت البحوث والكشوف الحديثة على خطئها[٥].

واعتمد فى رأيه على بعض روايات التوراة التى تقول: إن أقدم أرض عمرها بنو نوح عليه السلام هى أرض بابل وما نقل عن أحبار اليهود من روايات فى هذا الشأن[٦].

ويوافقه فى الرأى المستشرق الألمانى فن كريمير واعتمد فى ذلك على ملاحظاته الخاصة ببعض الأسماء التى استعملها الساميون فكتب بحثا سنة

---

(١) الحضارات السامية القدمية: سبتينو موسكاتى ص٤٢، ٤٣.

(٢) انظر: فقه اللغة: د. وافى ص٣ والساميون ولغاتهم: د. حسن ظاظا ص٥ وما بعدها.

(٣) قصد بعض القائلين بذلك من أرمينية شرقى آسيا الصغرى والإقليم الذى يقع بين طوروس والفرات ومن هؤلاء بيترز.

(٤) الساميون ولغاتهم: د. حسن ظاظا ص١٠. (٥) فقه اللغة: د. وافى ص٤، ٥.

(٦) انظر: حامد عبد القادر فى محاضراته عن فقه اللغات السامية عام ١٩٦٤ وبحث: الهجرات البشرية الكبرى، ١- الهجرات السامية للدكتور محمد السيد غلاب بمجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد السادس ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، ص٤٩٥ وانظر :سفر التكوين من التوراة.

١٨٧٥م عن أسماء الحيوانات والنباتات التى أخذها الساميون عن غيرهم واستنتج من بحثه أن الساميين[١] لم يكن عندهم اسم مشترك للنخلة أو البلح أوالنعام فلابد أنهم عرفوا هذه الأشياء وهم متفرقون فى أوطان مختلفة، ولاحظ أنهم كانوا يستعملون اسما مشتركا للجمل يحتمل أنهم عرفوه فى موطنهم الأول وهذا ينطبق على بعض مناطق أرمينية المشار إليها.

وقد سبقوا الآريين فى خروجهم من هذه المنطقة، وربما حدث هذا تحت ضغطهم وأنهم – بعد هذا – انحدروا من هضبة إيران إلى مشارف العراق الشرقية حيث كونوا أقدم مركز من مراكز الثقافة السامية.

ووافقه على ذلك المستشرق الإيطالى جويدى الذى ألف كتابا سنة ١٨٧٩م درس فيه أسماء المعادن والنباتات والحيوانات والأسماء الدالة على التقلبات الجوية والتغيرات الجيولوجية فى اللغات السامية واهتدى من ذلك إلى أن أسماء هذه الأشياء التى اتحدت أو تشابهت لا تتحقق إلا فى إقليم التركستان السابق.

ومن القائلين بهذا الرأى أيضا فلوك Vlock فى مقاله عن الساميين فى دائرة المعارف التاريخية الألمانية، وهومل قال بذلك أيضا سنة ١٨٧٩م غير أنه عدل عن رأيه فيما بعد ثم رجع مرة أخرى إلى رأيه الأول سنة ١٩٣٦م كما أخذ درايفر Driver بهذه النتيجة أيضا[٢].

وقد تصدى العلامة المستشرق الألمانى الكبير نولدكه[٣] للرد على رينان بأن روايات التوراة مشكوك فى صحتها لأنها لا تستند إلى أسس تاريخية يقينية، وما نقل عن أحبار اليهود مجرد روايات لا يصدقها العقل إذ هى لا تعدو أن تكون رأيا خرافيا لا يمكن أن يكون تعبيرا حقيقيا عما جرى فى القديم من الأزمان لأن الذاكرة – وبخاصة ذاكرة القبائل البدائية – لا يمكن أن تعى هذه الحوادث الماضية بحيث لا يتطرق إليها نقص أو نسيان.

كما رد على من درسوا مجموعات الأسماء السابقة بأن هذا مجرد

---

(١) قبل أن تنفصل اللهجات السامية إلى لغات مختلفة.

(٢) د. محمد غلاب فى مقاله السابق ص٩٤٦، وانظر: محاضرات فقه اللغات السامية للأستاذ حامد عبدالقادر.

(٣) فى كتابه Die Semitischon Spmitiques

ملاحظات عابرة، ولا يمكن أن تأخذ طابع الاستقراء، ومن الممكن أن تكون هنالك كلمات متحدة لم يصلا إليها، وأن كثيراً من ألفاظ هذه اللغات قد انقرض، وحتى الحي منها قد فقد كثيرا من الألفاظ القديمة التي ورثتها عن اللغة السامية الأصلية.

على أنه من الممكن العثور على كلمات مشتركة بين هذه اللغات السامية ولا توجد مدلولاتها في بلاد التركستان أو منطقة الرافدين.

بل إن كلمات كثيرة مثل: جبل – ولد – رجل – شيخ – رحل – خيمة – ليست متحدة في جميع اللغات السامية مع أنه لابد أن توجد في البيئة التي عاش فيها الساميون[1].

وربما كانت هذه الألفاظ المتحدة أو المتشابهة مستعارة من لغات أخرى غير سامية كلغات القوقاز وفارس والأناضول[2].

ولذا لا يصح أن يقوم الحكم على دراسة بعض الألفاظ كما فعل فن كريمير وجويدى.

ويقول أحد الباحثين: إن هذا الافتراض قد أصبح الآن مهجورا لا يقبل عليه أحد[3].

وعلى هذا فتصور إقامة الأقوام السامية إقامة ثابتة أول الأمر – في العراق وما حولها مع الهنديين الأوروبيين – قبل أن ينحدروا إلى الجزيرة – تصور أثبتت الحقائق أنه لم يكن وإن صح أنهم كانوا يعيشون معا عندما كان مقر بني البشر جميعا واحدا فإنهم بعد أن افترق أبناء نوح الثلاثة سام وحام ويافث بحثا عن القوت والاستقرار ونتيجة العوامل الجغرافية والاجتماعية اتخذ الساميون مقرا آخر لهم لم يكن العراق كما يرى هذا الفريق الذى نقض رأيه بالحجة والبرهان وإنما اتخذت الجماعة السامية مقرا آخر عاشت فيه قرونا متطاولة قبل أن تبدأ هجراتها المعروفة في التاريخ الى العراق وقبل أن تلتقى بسكانه الأصليين والسومرين الوافدين عليهم والكاسيين.

---

(١) محاضرات الأستاذ حامد عبدالقادر في فقه اللغات السامية.

(٢) الساميون ولغاتهم ص١٢ وانظر: بحث د. محمد غلاب السابق ص٤٩٧.

(٣) الساميون ولغاتهم ص٩.

ومعظم المؤرخين والباحثين على أن الجزيرة العربية كانت المهد الأول للساميين[١] ويؤكد ذلك بأن الجزيرة العربية كانت فى عصور سحيقة خصبة تجرى فيها الأنهار وتجود الزراعة ويكثر الرعى وكانت صالحة للصيد والقنص ويمكنها أن تفى بحاجات الآلاف المؤلفة من البشر[٢].

ومن أوائل القائلين بذلك من المستشرقين إيرهارد شرادر وفنكلر وتيله وفنسان والأثرى الفرنسى جاك دى مورجان.

وفى مقدمة المؤرخين الذين أيدوا هذا الرأى البرنس كيتانى دوتيانو Cae teni de teano الإيطالى الذى كان يرى أن هذا القسم – جزيرة العرب – كان فى العصور السابقة للتاريخ كثيف السكان خصب الأرض موفور الخيرات تخترقه ثلاثة أنهر كبيرة على الأقل[٣]، وأنه على إثر بعض الظواهر البحرية وانحسار جبال الثلج الكبيرة إلى الشمال فقد خصبه وجفت أنهاره فنزح معظم سكانها الى جهات أخرى.

وقد اعتمد فى نظريته هذه على أدلة مستمدة من البحوث الجيولوجية التى أجريت بالمنطقة.

وقد أفادت أبحاث المستشرق الألمانى فريتز هومل أن ميل السطح فى شبه الجزيرة وتعرضه للرياح الموسمية ربما كان قد تغير بانخساف فى طبقات الأرض فندر الماء فى شبه الجزيرة وجفت أنهارها ولعل سبق اليمن إلى عمارة السدود

---

(١) اختلف العلماء فى المكان الذى كان الموطن الأول للساميين من شبه الجزيرة فذهب فريق إلى أن ذلك وسطها – ولا سيما نجد – وذهب آخرون إلى العروض – ولا سيما جزيرة البحرين والسواحل المقابلة لها – ورجح فريق ثالث أن يكون ذلك فى الجنوب – وفى اليمن بصفة خاصة – انظر: بحث الدكتور محمد بيومى مهران بعنوان (دراسة حول العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة) بمجلة كلية اللغة العربية بالرياض – العدد السادس ص٢٩٨، ٢٩٩.

(٢) الأستاذ حامد عبدالقادر فى محاضراته (فقه اللغات السامية).

(٣) فى التوراة (سفر التكوين) ٢/١٣ ما يفيد أن نهرين – غير دجلة والفرات – كانا يرويان أرض الجويلة – حيث الذهب – والحبشة ويسمى الأول فيشون والثانى جيحون وظاهر أن النهر الأول ربما كان يوصل إلى الأطراف الجنوبية الشرقية من شبه جزيرة العرب مما يلى عدن شرقا والثانى كان ينبع من جبال اليمن ويأخذ مجراه مستديرا حولها فيلتقى بنهر فيشون ونهر الدجلة ونهر الفرات فى شط العرب. الساميون ولغاتهم ص١٤.

وخزانات المياه التى من أشهرها سد مأرب يرجع إلى محاولة التغلب على هذا القحط بل لعل المأثورات المتداولة بين عرب الجاهلية عن وجود ما يسمى بالعرب البائدة عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم ووبار هو صدى لتلك الكوارث الجغرافية التى دفعت الساميين الأصليين من سكان بلاد العرب إلى البحث عن القوت فى أماكن أخرى(١).

ومن الملاحظ وجود كثير من الوديان الجافة فى صحراء الجزيرة مما يؤكد أنها بقايا الأنهار التى طمسها التاريخ والحوادث الجيولوجية.

وقد التفت العلماء منذ أكثر من نصف قرن إلى ظاهرة تغير المناخ تغيرا كبيرا من الدفء إلى البرد أو المطر الى الجفاف ودلت الأبحاث الجيولوجية – فعلا – على هذا التغير الكبير الذى حدث فى آخر العصور الجيولوجية – عصر البلايستوسين أو الزمن الرابع(٢) وأصبح هذا التغير أمرا مفروغا منه تدل عليه التكوينات الجيولوجية كما تدل عليه الحفريات النباتية والحيوانية.

ويؤكد هذه التغيرات الجيولوجية فى الأزمان السحيقة ما جرى من انفصال جنوب غربى بلاد العرب عن أفريقيا فى العصور الحجرية والجليدية فقد أثبتت مس كيتن تومسون Miss Caton Thompson فى أبحاثها التى نشرت أن انفصال جنوب غربى بلاد العرب عن افريقيا الشرقية حدث فى حقبة البليستوسين pleistocene(٣) أى قبل مليون عام على الأقل(٤).

وقد قررت أكبر هيئة علمية فى العالم العربى للتربية والثقافة والعلوم أن شبه الجزيرة العربية مع ما قيل من اعتدال طقسها فى عهود غابرة قد تعرضت إلى الجفاف على فترات متوالية فضاقت فيها موارد الغذاء مما دفع أهلها الى الهجرة إلى البلاد المحيطة ووديان الأنهار الكبيرة (٥).

---

(١) الساميون ولغاتهم ص١٤.

(٢) عصور الإنسان الحجرية وعصور الجليد بأوروبا.

(٣) من بحث الدكتور محمد غلاب فى مجلة كلية اللغربية العربية السابق ص٤٨٨.

(٤) انظر: دراسات فى العالم العربى. الجزء الخاص بتاريخ الشرق القديم للدكتور أحمد فخرى، الباب الثالث ص١٥٦.

(٥) لجنة وضع استراتيجية لتطوير البيئة فى البلاد العربية – استراتيجية تطوير التربية العربية، نوفمبر سنة ١٩٧٦ ص٥١.

واليمن – كما يعترف المحققون من المؤرخين القدامى – كانت خصبة تنمو فى سهولها الأشجار والنخيل وأنواع كثيرة من الأعشاب والنباتات ومن ثم أطلق عليها مؤرخو اليونان اسم (بلاد العرب السعيدة) Arabia Felix وسماها العرب – منذ القدم – بلاد اليمن ولعله محرف عن (اليمن) بضم الياء وسكون الميم[١].

واسم عدن ليس بغريب عن نفس الأصل السامى القديم الذى أخذت منه كلمة (عدن) صفة للجنة[٢].

وقد نشر بهذا الصدد الأستاذ توينبى Toynbee بعدد ٩ ديسمبر سنة ١٩٢٥، من جريدة منشستر جارديان مقالا ضمنه رأيا قريبا من هذا الرأى[٣].

وهذا الفرض كان فى عصور موغلة فى القدم ثم أعقبه ما أصاب الجزيرة من الجفاف والقحل الذى أدى إلى حدوث الهجرات السامية المتتابعة من الجزيرة إلى خارجها والتى يرى المحققون من المؤرخين أنها بدأت حوالى القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد.

ويبرهن فريق من المحققين منذ أواخر القرن التاسع عشر على صدق هذه النظرية ببراهين تكاد تكون قاطعة ونذكر أهمها فيما يلى:

الأول: ما يؤكده التاريخ من أن الهجرات السامية خرجت من الجزيرة العربية[٤] وكانت على سبيل الغارات والهجرة فمصادرنا التاريخية تسجل هذه الهجرات وهى هجرات لم يكن بد منها إزاء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للصحراء، فهذه الأحوال تؤدى إلى ميل مستمر من قبائل الرعى البدوية إلى الاستقرار فى المناطق الخصبة حول الصحراء والأخذ بأسباب الحياة الزراعية[٥].

وهذه حقيقة ثابتة بشكل كاف فالتاريخ يدلنا على أن الصحراء العربية

---

(١) انظر: تاريخ الشرق القديم: د. أحمد فخرى ص٤٨٨، الحضارات السامية القديمة ص٣٥، ٤٠، وخلاصة تاريخ العرب لسيديو ص١٥ ومحاضرات الأستاذ حامد عبدالقادر فى فقه اللغات السامية.

(٢) الساميون ولغاتهم ص١٥.
(٣) فقه اللغة د. وافى ص٩.
(٤) موسكاتى: ص٥١.
(٥) المصدر السابق ص٤٩.

كانت نقطة الانطلاق للهجرات السامية، و الحركات الوحيدة التى سلكت الاتجاه المضاد كانت حركات دفاعية قليلة محدودة النطاق[١]، وجميع الحركات التى انطلقت من الصحراء كانت لشعوب لغاتها سامية، ولا يصح أن نعترض بأنه وقعت أيضا حركات من مكان إلى آخر فى المناطق المستقرة، فمن الجلى أن الساميين بعد أن نفذوا من الصحراء إلى المناطق المستقرة واصلوا المشاركة فى الحركات التاريخية التى وقعت فى تلك المناطق وأن هذه الحركات اللاحقة لا علاقة لها بمسألة أصل الساميين[٢].

الثانى: من الثابت – أيضا – أن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للصحراء تجعل سكانها الرعاة البدو ينزعون ولا مناص إلى التدفق على المناطق الزراعية المحيطة بالصحراء ولا نزال نرى هذا النزوع إلى أيامنا هذه، فلا نزال نرى فى أيامنا هذه عملية التحاق القبائل شبه البدوية بالقبائل المستقرة[٣].

ولا ريب أن ذلك يحدث حين تنكمش مساحات الكلأ وتنفق حيوانات الرعى ولا تعود الصحارى بقادرة على إطعام أهلها فيفيض سكانها على الأقاليم الزراعية المجاورة[٤].

الثالث: النقوش التى عثرعليها مكتوبة باللغة السومرية أى بلغة سكان بابل

---

(١) كتلك الحروب التى لجأ إليها الأشوريون والبابليون منذ القرن التاسع قبل الميلاد بهدف بسط نفوذهما على عرب شمال الجزيرة، ولعل السبب الرئيسى الذى دفع الأشوريين والبابليين إلى الاهتمام بشمال الجزيرة العربية هو الرغبة فى حماية الطرق التجارية التى كانت تسير فيها القوافل القادمة من الجنوب وقد كانت هذه القوافل معرضة دائما لخطر السطو عليها من قبل القبائل الرعوية أثناء رحلتها الطويلة، فكانت تلك الحملات على طريق التأديب تتم بين الحين والآخر لضمان وصول المنتجات سالمة. انظر: بحث (قوم ثمود بين روايات المؤرخين ومحتويات النقوش) للدكتور خالد طه الدسوقى بمجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد السادس ص٢٦١، ٢٦٢، ٢٨٠ وقد استمرت هذه الحروب قرابة ثلاثة قرون ما بين القرن التاسع والسادس قبل الميلاد وأضعفت بلاد العرب الشمالية إلى حد جعل الطريق مفتوحا لاستيلاء الملك الفارسى قمبيز عليها دون مقاومة وهو فى طريقه إلى مصر عام ٥٢٥ق.م.، انظر: بحث الدكتور بيومى مهران بالمجلة المذكورة ص٣٣٩، ٣٥٤، ٣٥٥.

(٢) موسكاتى ص٥٣.

(٣) المصدر السابق ص٥٥.

(٤) د. غلاب ص٤٩٢.

الأصليين تفيد أن بلادهم كانت دائما فى خطر من إغارة قبائل سامية كانوا يغيرون عليها من الجهات الغربية والغربية الجنوبية.

الرابع: دلائل التاريخ تشير إلى أن بابل وأشور وكنعان ومصر والحبشة كانت كلها هدفا لغارات من أقوام قدموا إليها من الجزيرة العربية.

والساميون أنفسهم – يقولون إنهم هاجروا من بلاد العرب، قالوا ذلك على لسان سرجون الأول وقال ذلك المصريون حين روى قدماؤهم أنهم جاءوا من الشرق ومن الجنوب الشرقى وأنهم علموا الحضارة لمن كانوا فى البلاد وأخضعوها لسلطانهم وما من شك فى أن صلة مصر بالشعوب السامية فى عصر ما قبل التاريخ تركت آثارها فى اللغة المصرية القديمة سواء فى مفرداتها أو فى أجروميتها(١).

ويفيد ذلك أيضا تتبع المؤرخين للنصوص الأولى التى استعملت فيها كلمة (عرب) واختلاف دلالتها بين التخصيص على مواقع فى الأرض أو على قبائل بعينها أو على خصائص البداوة فيها وبين التعميم على شبه الجزيرة وما يتجاوزها وعلى قوم بجميع قبائلهم وقد استعملها هيروتس كبير مؤرخى اليونان فى القرن السادس ق. م. لتشمل شبه الجزيرة العربية كلها وأدخل فيها جزءا من الأراضى المصرية مما يقع فى شرقى وادى النيل(٢).

ولم يرد حدث تاريخى واحد يبين أن سكان ما حول الجزيرة من المتحضرين كالبابليين مثلا نزحوا إليها وقتا ما.

ولم نسمع بمثل تاريخى واحد يبين لنا أن سكان السهول والمدن المتحضرين ينزحون إلى البادية أو يهاجرون إلى الصحارى ليصيروا رعاة إبل وغنم إلا إذا اضطروا إلى ذلك اضطرارا(٣).

الخامس: والجزيرة العربية هى الموطن الوحيد الذى لم يؤثر فيه أى نفوذ أجنبى يخرجها عن طبيعتها أو صبغتها كما يقول المؤرخ الإنجليزى سايس

---

(١) بحث دكتور مهران ص٢٩٩.

(٢) انظر: استراتيجية تطوير التربية العربية ص٥١.

(٣) الأستاذ حامد عبدالقادر فى محاضراته (فقه اللغات السامية).

(Sayse)وهو أحد المدافعين عن هذا الرأى[١] فقد قال إن كل الروايات والآثار السامية تشير إلى بلاد العرب موطنا أصليا للسامية فهو الجزء الوحيد الذى ظل ساميا تماما لا تشوب ساميته شائبة[٢] وكان أهلها منذ أقدم العصور مدبرين لأمورها متأهبين للإغارة على مجاورها ولذا نجت من تسلط كيروش (Cyrus) ملك الفرس[٣] واسكندر Alexandreابن فيلبس ملك اليونان[٤] وبقيت على استقلالها زمن أخذ الرومان الدنيا القديمة[٥].

السادس: عقلية الساميين التى تمتاز بجنوحها إلى المعانى المحسوسة المشاهدة – كما يتبين ذلك من لغاتها – تفيد بأن الصحراء لابد أن تكون مهدهم الأصلى[٦] فتشبيهاتهم ومادة أخيلتهم مستمدة من البيئة المحسوسة المشاهدة.

استمع إلى امرىء القيس الذى يقول فى وصف فرسه:

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

ويمكننا أن ننتفع بالأدب العربى – الذى يمدنا بأوصاف وافرة لحياة البدو – وبالأدب العبرى مثل سفر التكوين فى التوراة حيث نشهد الانتقال من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار[٧] وأشار سايس إلى ذلك أيضا حين قال إن المزاج السامى والعقلية السامية التى تمتاز بشدة الإيمان وعمقه والصلابة وتحلق فى أجواء الخيال لا يمكن أن يكسبها سوى وطن صحراوى لا يعرف أوساط الأمور ويترك قاطنه تحت رحمة قوة عليا مهيمنة ويفسح له أفق الخيال[٨].

وارتضى هذا الرأى أيضا فريق من الباحثين على رأسهم العالمان الألمانيان شريدر واشبرنجر A. Sprenger فقد نشر الأول مقالا سنة ١٨٧٣ فى مجلة ألمانية عن العلاقة الدينية والجغرافية والتاريخية واللغوية أكد فيه هذا الرأى ودافع الثانى عن هذا الرأى سنة ١٨٦١ ثم نشر كتابا عن جغرافية بلاد العرب القديمة سنة

---

(١) فى كتابه الذى ألفه عن اللغة الآشورية وظهر عام ١٨٦٢.
(٢) د. غلاب ص٤٩٧.
(٣) ولى ملكا على فارس سنة ٥٤٦ق.م. مهران ص٤١٣ ومابعدها.
(٤) ٣٥٦ – ٣٢٣ ق.م. وقد فشل ذلك بموته فى ١٣ يونية سنة ٣٢٣.
(٥) خلاصة تاريخ العرب ص٦، ٧. (٦) فقه اللغة: د. وافى ص٩، ١٠.
(٧) موسكاتى ص٥٥. (٨) د. غلاب ص ٣٩٧.

١٧٨٦ أكد فيه هذا الرأى أيضا وألقى العالم الهولندى ديجوخيه Degoeje خطابا مهما سنة ١٨٣٢ أوضح فيه رأيه فى هذا الموضوع وأنه من أنصار القول بأن موطن الساميين الأصلى هو الجزيرة العربية وارتضى هذا الرأى أيضا Wright وهو برت جريمة (١٩٠٤) ومايزر (١٩١٢) ولوك (١٩٢٣)[١].

وقد ظهر – منذ حين – كتاب فى فقه اللغة عنوانه «مقدمة فى فقه اللغة العربية»، عرض كاتبه فيه لقضية (العرب ولغتهم) وبدا أنه يقلب الحقائق التاريخية واللغوية فى إطار معالجته لهذا الموضوع وقد رأيت من واجب البحث العلمى الموضوعى أن أناقش ما كتب بالحجة والدليل مبينا جوانب التجنى والذهاب إلى غير الصواب.

فجعل العرب – بصفة خاصة – والساميين – بصفة عامة – منذ فجر التاريخ كانوا يقطنون مكانا آخر غير الجزيرة العربية، وأن الجزيرة العربية لم تكن مهدهم الأول بل قدموا إليها من مكان آخر، وحاول – فى بيان هذا المكان الآخر – أن يجعله مكانا مشتركا نزل فيه الساميون والآريون جميعا وأنه لايوجد جنس يسمى بالساميين إلا فى إطار الشجرة العامة الهندية الأوروبية.

ولما كانت الحقائق التاريخية والبيئية والوثائقية تعرف جماعة إنسانية تسمى الساميين – منذ فجر التاريخ – وتعرف لهم تنقلات وهجرات تمت – أصلا – من داخل الجزيرة العربية إلى ما حولها فإن الكاتب يأبى إلا أن يمسخ طبيعة هذه الجماعة ويجعلها تذوب فى إطار الجنس الهندوأوربى بحيث لا يعرف لها شكل معين أو خصائص تميزها من سواها من الهنود والأوربيين.

ومن منطلقه الخاص يحاول أن يفسر نشأة العرب الأولين فيصر على أنهم قدموا إلى الجزيرة العربية من خارجها لا العكس محاولا بذلك أن يجعل اللغة العربية من فصيلة اللغات الهندية الأوروبية.

يقول: ولن نستطيع أن نفسر ظاهرة تكون اللغة العربية من عناصر مشتركة الجذور مع اللغات الهندية الأوروبية إلا اذا افترضنا أن التكون السكانى لشبه الجزيرة لم يكن فيضانا سكانيا من داخل شبه الجزيرة إلى خارجها أو حوافيها المحيطة بها ولكن كان فيضانا سكانيا من خارج شبه الجزيرة إلى داخلها.

---

(١) المصدر السابق ص٤٩٨.

ويشرح اعتقاده السابق فيقول:

« إن المخزن البشرى العظيم الذى خرج منه عديد من أقوام منطقة الشرق القديم منذ الألف الثالثة قبل الميلاد كان المنطقة المحيطة ببحر قزوين من ميديا عبر جبال القوقاز حتى البحر الأسود، وهو يعتنق رأى كنتنو القائل بأن ثلاثة أجناس تعايشت وتحاربت واندمجت فى العراق القديم وهم:

(أ) السكان الأصليون والسومريون والكاسيون وهؤلاء اصطلح على تسميتهم بالآسيين.

(ب) الهندوأوربيون وهؤلاء هم الميتانى أو الحريون أو الإيرانيون ولغة هذين الفريقين هندية أوروبية.

(جـ) الساميون: وهؤلاء هم الأكاديون من بابليين وآشوريين وعموريين وآرميين ولغتهم سامية[1].

ويقول: ليس من الصالح أن نتوه فى بحث التكوين الأنثروبولوجى لسكان شبه جزيرة العرب أو الهلال الخصيب[2] والتراكمات السلالية فيهما ففى تعقيدات التكوين اللغوى ما فيه الكفاية إنما يكفى أن نقرر بضع قضايا منها أنه من الثابت أن القبائل الآسية[3] المنحدرة إلى الهلال الخصيب من القوقاز وما حول بحر قزوين والبحر الأسود ومن منطقة الأناضول ومن هضبة إيران أيا كان منبعها وأيا كان تكوينها الأنثروبولوجى كانت تتكلم لغة ميدية سيكيذية وهى إحدى فروع المجموعة الهندية الأوروبية ربما تكون موجات منها قد نزلت فى شبه الجزيرة كما نزلت موجات منها فى الهلال الخصيب، وفى هذه الحالة ليس هناك ما يمنع أن تكون الشعوب والقبائل الملقبة بالسامية سواء فى الهلال الخصيب أو فى شبه الجزيرة هى فى حقيقتها موجات تعاقبت فى عصور متعاقبة ومن مواقع متباينة من هذه المجموعة الآسية.

والعرب – إذا – موجة متأخرة جدا من الموجات التى نزلت على شبه الجزيرة

---

(١) مقدمة فى فقه اللغة العربية ص٣٢، ٣٣.

(٢) يقصد به تلك الحاشية الخضراء الممتدة من الخليج العربى شرقا إلى سيناء غربا. انظر: الساميون ولغاتهم ص٢.

(٣) يقصد بهم سكان العراق الأصليين والسومريين والكاسيين.

من القوقاز والمنطقة المحيطة ببحر قزوين والبحر الأسود نحو سنة ألف قبل الميلاد أو قبيل ذلك.

وكما يرى المتأمل فكل كلامه مبنى على مجرد الافتراض ويكفى أن نلمح فى عبارته (ربما) و(ليس هناك ما يمنع) وغير ذلك من أساليب الارتجال.

بل إن الكاتب يذهب مذاهب غير معقولة وهو يعرض فكرته فيدعى أن انحدار هؤلاء الأقوام من خارج شبه الجزيرة إلى داخلها حدث من أقوام بادية آثروا حياة البداوة على حياة الاستقرار فى وديان الأنهار أو حيل بينها وبين الاستقرار[1].

ويقول: لعلها لم تستقر فى مكان ما فى بلاد ما بين النهرين أوالشام الكبير لأنها وجدت فى هذه وتلك أقواما منظمة أقوى منها بأسا وأعلى حضارة فنفذت إلى الفراغ الكبير فى شبه الجزيرة من طريق بادية الشام حاملة معها لغتها القوقازية المتفرعة من المجموعة الهندية الأوروبية أو لعلها آثرت حياة البداوة والرعى والتجارة التى ألفتها فى مهدها الجبلى الأول على حياة الاستفلاح و الاستقرار ففضلت الحرية فى شبه الجزيرة على القيد فى وديان الأنهار مكتفية بروابط العصبية أو (القومية) كأساس للتماسك الاجتماعى عن الارتباط بالوطن سجن المتحضرين على رأى ابن خلدون[2].

وهو يعتمد فى هذا على ما يناقض الواقع الملموس الذى أشار إليه معظم الباحثين والمؤرخين وذكرته من قبل فهو يصطدم بما تمليه طبيعة الحياة، فمن الواضح أن القول بأن المتحضرين يتركون حياة الحضارة والاستقرار إيثارا لحرية البداوة قول لا يوافق الواقع فلم نسمع – على الاطلاق – عن أقوام تركوا حياة الحضارة ليعيشوا عيشة البداوة والرعى وإنما حقائق التاريخ تؤكد عكس ذلك – كما عرضنا من قبل – وكما نراه تحت أعيننا فى العصر الحديث من تحضر البدويين وبنائهم العمارات الشاهقة فى المدن الناشئة فى الأقطار العربية التى انتقلت فى هذا العصر من البداوة إلى الحضارة.

ويكفى أن نعلم أن اشبرنجر الألمانى يقول: من المستحيل تحول الزراع إلى

---

(١) مقدمة فى فقه اللغة العربية ص٣١. (٢) المصدر السابق ص٤٠.

بدو وأنه أهون عليه أن يرى أسد البحر يعيش فوق مرتفعات الألب والماعز فى البحر على أن يتصور سكان الحضر يتحولون إلى بدو[١].

ويوافق دى جوخيه اشبرنجر فى أن سكان السهول لا يسكنون الجبال أو يتحولون إلى رعاة متنقلين وقال: إن العكس هو الذى يحدث دائما فالرعاة يتحولون إلى زراع[٢].

والواقع أن العرب كانوا يرحلون ويتنقلون إما للتجارة وقد ورد ذلك فى القرآن الكريم عن رحلتى الشتاء والصيف[٣] وإما تحت وطأة الفقر والعوز فرادى أو جماعات بشكل سلمى أو غزاة فاتحين[٤].

وهذا الكاتب يجد نفسه فى حرج مما يقول لمخالفته الواقع فيفترض فرضا آخر لصحة مدعاه فيجعل من الممكن – فى زعمه – أن تفسر الهجرات العظيمة بالانفجارات السكانية سواء بين سكان المراعى أو فى أحواض الأنهار دون حاجة إلى انتظار الجفاف من الأنهار والأمطار لتفسير انتقال الحشود البشرية من مكان إلى مكان عبر السهول والقنوات والأنهار والبحار من قارة إلى قارة ويفترض أن هذه الهجرات الجماعية لم تكن تتم إلا بين أقوام تملك من مقومات القوة الحيوية ما يؤهلها للخروج لغزو الأقوام الأخرى وفى مقدمة هذه المقومات درجة عالية من درجات التنظيم والتماسك الاجتماعى[٥].

والواقع أن الكاتب يتناقض مع نفسه فمرة يرى أن هذه الهجرات تمت من قبائل بادية آثرت حياة البداوة وأخرى يرى أن المهاجرين الذين ينزلون مكانا لابد أن يكونوا أقوى من غيرهم تنظيما وسلطانا اجتماعيا.

ثم إنه ينكر أمر جفاف الجزيرة فى العصور السحيقة والذى أيده كثير من علماء الجيولوجيا والآثار ويعرض لرأى البرنس كيتانى وينقده معتمدا على ما ذكره موسكاتى من أن الصحراء العربية لم يطرأ عليها فيما يبدو أى تغيير منذ فجر التاريخ[٦] وأنها لم تتغير إلا قليلا منذ أقدم الأزمان التاريخية إلى يومنا هذا[٧].

---

(١) د. غلاب ص٤٩٧.
(٢) المصدر السابق ص٤٩٨.
(٣) المقصود قول الله تعالى فى سورة قريش ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ * إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾.
(٤) د. غلاب ص١٠٥.
(٥) مقدمة فى فقه اللغة العربية ص٢٥، ٢٦.
(٦) موسكاتى: ص٥٣.
(٧) المصدر السابق ص٥٤.

ونقد – فى هذا الصدد – ما ذكره الدكتور جواد على[1] من التغيرات الجغرافية والمناخية فى جنوبى الجزيرة العربية وأن اليمن كانت جنة خضراء انبثق منها الإنسان الأول ثم أصابها الجفاف[2].

ووصف هذا الرأى وأمثاله بأنه تشنجات بشرية تحتاج فى تفسيرها إلى تشنجات جيولوجية أو إيكولوجية (بيئية).

ولا ندرى مبعث هذه الأفكار التى يرسلها هذا الكاتب على عواهنها دون ترو أو إدراك للحقائق المسلم بها تاريخيا ووثائقيا فما قاله فى هذا المجال زيف بلا مراء.

فأمر جفاف الجزيرة – فى العصور السابقة – قد أكدته الأبحاث الجيولوجية والآثار التى لا تزال حتى الآن كما أشرنا من قبل، فضلا عن أنه يناقض نفسه فيعترف – فى مقام آخر – بأن الجفاف ربما كان أحد العوامل التي تدعو إلى الهجرة فحينما تحدث عن هجرة أقوام من المنطقة المحيطة ببحر قزوين يحاول تفسير هذه الهجرة على أنها ربما تكون نتيجة الجفاف أو بسبب ضغط أقوام أخرى أخرجت الناس بالغزو من ديارهم[3] فكيف يعترف هنا ويمنع هناك؟

ثم إن خصب جنوبى الجزيرة أمر ثابت لا يمكن إنكاره ولا يمكن أن يعد تشنجا بل العكس هو الصحيح، فالمؤرخون يعترفون بأن دولة سبأ اتخذت مأرب عاصمة لها فى نهاية عصر المكاربة[4] حيث كان يبنى سد عظيم للتحكم فى وادى أذنه[5] وتحويل مياهه للرى وقد أشاع فيها ذلك السد الخصب والنماء ثم لما كفروا بأنعم الله أرسل الله عليهم سيل العرم فهدم السد وأغرق الزرع والثمار وخرب الكثير من مواردهم الزراعية.

وبهذا حدثنا القرآن الكريم قائلا:

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ط بيروت ١٩٦٨.

(٢) مقدمة ص٥٢. (٣) المصدر السابق ص٣١.

(٤) لقب حكام دولة سبأ العربية القديمة ومعناه (الكاهن الأكبر).

(٥) يقع شمالى مأرب وقد بنى السد عند مضيق الوادى بين جبل بلق القبلى وجبل بلق الأوسط وكان يروى مأرب أيضا سد أصغر فى وادى خانق أو وادى الفلح. تعليق د. يعقوب بكر مترجم الحضارات السامية القديمة لموسكاتى. هوامش الفصل الثامن ص٣٥٣.

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ[1] عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ[2] وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ﴾[سبأ: الآيات ١٥ – ١٧].

وهذا الخصب الذى كان بأرض اليمن ثابت كما نرى بالنصوص القرآنية الوثيقة إلى جانب ما أثبته المحققون من المؤرخين.

والقرآن الكريم يبين أنهم – بعد الخراب الذى أصابهم – مزقوا كل ممزق وتفرقوا أيدى سبأ باحثين عن مأوى لهم قال عز حكمه ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[سبأ: ١٩].

فبعضهم ذهب إلى الشام وآخرون إلى عمان وقبائل ثالثة إلى تهامة، وكانت العرب تضرب بهم المثل فى التفرق فتقول. تفرقوا أيدى سبأ وأيادى سبأ أى مذاهب سبأ وطرقها[3].

ثم إن الكاتب يعكس ما اتفقت عليه الروايات التاريخية وما استقر لدى الباحثين من هجرات الشعوب السامية من البابليين والأشوريين والكنعانيين فيدعى أن هجرات البابليين والأشوريين تمت من أقاليم أخرى غير الجزيرة العربية فالبابليون – فى رأيه – تسللوا من شمال سوريا وأرض كنعان إلى العراق تسللا سلميا من ٢١٠٠ و٢٠٠٠ق.م.، وهم من يسمون العموريين[4].

---

(١) لم يرد الحق تبارك وتعالى جنتين اثنتين بل أراد من الجنتين يمنة ويسرة أن بلادهم كانت ذات بساتين وأشجار وثمار تستر الناس بظلالها. القرطبى ط. الشعب ص٥٣٦٦.

(٢) الخمط: كل ما تغير إلى ما لا يشتهى، وخمط اللبن إذا حمض. الأثل: نوع من الشجر غليظ كالطرفاء الواحدة أثلة. السدر: نوعان برى لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للغسول وله ثمر عفص لا يؤكل وهو الذى يسمى الضال والثانى: سدر ينبت على الماء وثمره النبق وورقه غسول يشبه شجر العناب. قال قتادة: بينما شجر القوم من خير شجر إذ صيره الله تعالى من شر الشجر بأعمالهم فأهلك أشجارهم المثمرة وأنبت بدلها الأراك والطرفاء والسدر وأشجار البوادى لا تسمى جنة وبستانا ولكن لما وقعت الثانية فى مقابلة الأولى أطلق عليها لفظ الجنة – على سبيل المشاكلة – كقوله تعالى: وجزاء سيئة سيئة مثلها: القرطبى ص٥٣٧٠ بتصرف.

(٣) القرطبى ص٧٣٧٣.

(٤) مقدمة ص٣٢.

مع أن الآثارالتى خلفها الساميون في بابل وأشور تبين أن فريقا من هؤلاء الساميين هاجروا من الجهات الشمالية الشرقية من بلاد العرب إلى الجهات الخصبة من بلاد العراق، وقبل هذا التاريخ بكثير وربما فى القرن السادس والثلاثين ق.م ولكن الدولة لم تكتمل صورتها وتبلغ أوج عظمتها إلا فى عهد الملك سرجون الأول حوالى سنة ٢٧٥٠ق.م.[١].

وجميع الموجات السامية، وغيرها – فى رأيه – تدفقت من القوفاز إلى منطقة الشرق القديم منذ بداية الألف الثالثة قبل الميلاد على أقل تقدير وعرفت بدايتها التاريخية بحضارة سومر لا فرق فى ذلك بين سومريين وحر يين (ميتانى) وكلدانيين وحيثيين من جهة وبابليين وأشوريين وعموريين وآرميين وكنعانيين، وفينيقيين، ومؤابيين، وسريانيين وعبرانيين وعرب من جهة أخرى[٢].

مع أن الوثائق والنقوش تقرر أن هجرات سامية خرجت من الجزيرة فى قرون سحيقة ق.م. وكانت تتم كل ألف سنة تقريبا.

فقد نزح بعض الساميين إلى جنوب العراق وغزوا بلاد السومريين، وأسسوا مملكة بابل حوالى القرن السادس والثلاثين ق.م.

ونزح بعضهم إلى الشمال فتكونت الشعوب الكنعانية[٣] حوالي القرن السادس والعشرين ق.م.

ونزح بعضهم فى هجرة ثالثة إلى العراق وأسسوا بها الدولة الكلدانية الخامسة التى كان من ملوكها حمورابى فى القرن السادس عشر ق.م.[٤].

---

(١) موسكاتى ص٦١ وما بعدها. والملك سرجون الأول الأكادى كتب عن أصله فى نقش مشهور ما يفهم منه صراحه أنه وعشيرته نزحوا إلى العراق من شرقى جزيرة العرب. انظر: تاريخ الشرق القديم للدكتور أحمد شخرى ص١٥٨، وقصة الجنس البشرى للدكتور هندريك فان لون ترجمة إبراهيم زكى خورشيد وأحمد الشنتناوى كتاب الشعب (٣) الطبعة الثانية ص٤٢ والساميون ولغاتهم ص١٠.

(٢) مقدمة ص٣٩

(٣) لمعرفة الشعوب الكنعانية انظر ص١٠٢ وما بعدها من هذا الكتاب.

(٤) انظر مواطنهم الأصلية فى بحث : د. غلاب ص٥٠١ وما بعدها وكذلك د. وافى ص٨.

ووصلت هجرات من جنوبى بلاد العرب إلى مصر حوالى الألف الرابع ق.م.[1].

وهاجرت عشائر سامية أيضا إلى بلاد الحبشة قبل الميلاد بعدة قرون – وبلغت هذه الهجرات أشدها بين عامى ٣٠٠٠ ، ١٥٠٠ ق.م. فى عهد دولتى معين وسبأ وكانت هجراتهم من قرية تسمى فى النقوش السبئية (حبشا أو حبشت)، ولذلك أطلق على هؤلاء المهاجرين اسم الأحباش وعلى المكان الذى هاجروا إليه اسم الحبشة ويسميها اليونان (أثيوبيا) [2].

وينفى اعتقاده – كذلك – ما أثبته الأستاذ سليمان حزين أستاذ الآثار والتاريخ المصرى القديم من أن بلاد العرب هى الأقدم وأن الثقافة قد انتقلت منها فى العصور الحجرية القديمة إلى شرق أفريقيا وأن هذه الثقافة تشبه إلى حد كبير ما عثر عليه فى أفريقيا من ناحية، كما يشبه أيضا مع وجود اختلافات غير قليلة ما عثر عليه الباحثون من رجال عصر ما قبل التاريخ فى سوريا والعراق [3].

ويقرر الدكتور أحمد فخرى أن المهاجرين الساميين وصلوا إلى العراق حوالى سنة ٣٠٠٠ ق.م.

وقد كانوا على درجة من التقدم تجعلهم يعرفون كيف يستفيدون من غيرهم فهؤلاء الساميون الذين وصلوا إلى العراق قبل خمسة آلاف عام من جزيرة العرب لم يكونوا قوما بدائيين بل كانوا ذوى ثقافة خاصة ولهم نظمهم وحياتهم الاجتماعية [4].

وهذا يتفق مع ما ذكره المؤرخون والباحثون من أن الجزيرة العربية كانت خصبة فى التاريخ القديم وكان سكانها قوما ذوى حياة منظمة، وحضارة قبل أن يعتريها الجفاف ويصيرهم إلى حياة البداوة والرعى بآلاف السنين.

ويقرر الدكتور هندريك فان لون أن السومريين – وهم جنس أبيض اللون –

---

(١) تاريخ الشرق القديم د. أحمد فخرى ص١٥٨.

(٢) د. وافى ص٨٣ وما بعدها والأستاذ حامد عبدالقادر فى (فقه اللغات السامية) وبحث الدكتور مهران ص٣١٧ وما بعدها.

(٣) تاريخ الشرق القديم للدكتور أحمد فخرى ص١٥٧. (٤) المصدر السابق ص١٥٨.

وفدوا فى بادىء الأمر من الشمال (منطقة نشأة الإنسان الأول) ثم نزلوا الوادى الخصيب فى القرن الأربعين ق.م.

وسرعان ما تغلب عليهم الأكاديون (البابليون والأشوريون) وهم من القبائل الكثيرة الوافدة من صحراء العرب كانت تتكلم لسانا مشتركا عرفت باسم الساميين [١].

ويقرر كذلك أن الوادى الخصيب هو البوتقة التى انصهر فيها كثير من الأجناس السامية [٢].

والهكسوس – فى رأى الكاتب – لم يأتوا إلى مصر من الحجاز ومن شبه الجزيرة العربية وإنما استقروا فيها بعد طردهم من مصر.

أما المنبع البشرى الذى تدفقوا منه على الشرق القديم ثم عبروا إلى مصر – على مراحل أو دفعة واحدة – فهو – كما يقول – بحسب تقدير كثير من علماء الآثار والتاريخ القديم نفس المستودع البشرى المعروف فى عصر الهجرات العظيمة حول بحر قزوين وربما كان هذا المستودع ذاته مجرد محطة وسطى استقروا فيها زمنا منذ هجرتهم من وسط آسيا شأن كافة القبائل التى تسمى آرية وطورانية وسامية [٣].

وبعد طردهم من مصر استقروا فى الحجاز، وأسسوا لهم مملكة جعلوا عاصمتها مكة [٤]: وهم – فى رأيه – تلك القبائل التى سميت بالعماليق.

ويرجع إليهم مدينة ثمود التى ازدهرت فى القرن الثانى ق.م. شمال الحجاز وكان لها بعض الشأن نحو ثمانية قرون قبل الإسلام ثم أهلكها الله، فاسم ملك الهكسوس (خمودى) يرتبط بمقارنة عناصره الفونطيقية باسم (ثمود) فهى مدينة أنشأها الهكسوس بعد خروجهم من مصر [٥].

(ومدائن صالح) بشمال الحجاز أنشأها الهكسوس كذلك يقول: ومن حقنا أن نستنتج مبدئيا أن مدائن صالح كانت إحدى المحلات أو المدن التى

---

(١) من كتاب (قصة الجنس البشرى) ص٢١.
(٢) المصدر السابق ص٢٢.
(٣) مقدمة فى فقه اللغة العربية ص٢٢.
(٤) المصدر السابق ص٣٥.
(٥) المصدر السابق ص١٨.

أنشأها الهكسوس بعد خروجهم من مصر وذلك بمقارنتها الفونطيقية بـ (متوشالح) و(شالح) الذى يشتبه فى أنه صيغة Sholek[1] وهو يجعل الكاسيين فرعا من الهكسوس.

ويؤكد بناء على ذلك أن العرب قدموا إلى الجزيرة من خارجها ونزلوا على السكان الأصليين فيها من الهكسوس ومن كان معهم فى القرن الخامس عشر ق.م. يقول « ولاشك أن العرب حين نزلوا شبه الجزيرة إنما نزلوا على سكان أصليين كانوا فيها كان منهم العماليق الذين نعرف من قصة الخروج فى التوراة أنهم كانوا مستقرين من الحجاز إلى جنوب فلسطين من قبل خروج بنى اسرائيل، وهؤلاء استطعنا تحديدهم بجحافل الهكسوس المطرودين من مصر فى القرن الخامس عشر ق.م.[2].

ويمضى فى ذلك فيدعى أن المرحلة الهكسوسية أو مرحلة الملوك الرعاة تمثل فترتهم الجاهلية الأولى التى يحدثنا عنها التاريخ العربى والأساطير العربية[3].

وبنى على هذا أن سكان جزيرة العرب خليط من الهكسوس والسكان الأصليين والآسيين ومتخلفات من الجيوش المصرية التى كان الفراعنة فى مصر يرسلونهم لتعقب الأماليك فى الحجاز[4].

ويبدو أن الكاتب تجاهل حقائق تاريخية ولغوية كثيرة أدت إلى هذه التصورات التى ادعاها.

فالحقائق التاريخية تؤكد أن قبائل انحدرت من أواسط آسيا ونزلت فى مناطق سوريا وفلسطين وبعد أن استقروا فيها بعض الوقت واندمجوا بأهلها اتخذ هذا الخليط من الناس طريقه غربا إلى مصر باسم الهكسوس سنة ١٧٣٠ق.م. كما يذكر الدكتور أحمد فخرى[5].

ويفهم من هذا الخليط أنه كان يضم عناصر سامية، فالثابت أن الكنعانيين نزلوا هذه المناطق حوالى القرن السادس والعشرين ق.م. واستقروا بها قبل القبائل التى انحدرت إليها من وسط آسيا بأزمان متطاولة ثم تكون منهم الخليط الذى غزا مصر باسم الهكسوس.

---

(١) المصدر السابق ص١٩.
(٢) المصدر السابق ص٤٠.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق ص٤١.
(٥) تاريخ الشرق القديم ص٩٠، ٩١.

وبناء على هذا القول يكون الهكسوس ساميين وغير ساميين.

وفضلا عن ذلك فهناك كثير من الباحثين يؤكدون أن الهكسوس كانوا ساميين خلصاء فالأستاذ جيمس هنرى برستد [١] ينقل عن المؤرخ المصرى مانيتو أنه فى أواخر أيام الأسرة الثالثة عشرة بعد ضعف مصر سنة ١٦٧٥ق.م. غزا مصر قوم ساميون من آسيا [٢] وقصد مانيتو بالهكسوس الفينيقيين ويستنتج من روايات مانيتو عن أخبار سوريا وفلسطين أن امبراطورية الهكسوس سامية الأصل[٣].

ويبدو بعد كل ذلك أن إصرار الكاتب على جعل الهكسوس من القبائل الهندية الأوروبية ينبو عنه التحقيق التاريخى، ويجانب الحقيقة الموضوعية التي تجعلهم – على أقل تقدير – خليطا من الساميين وغيرهم.

أما تصور الكاتب بأنهم – بعد طردهم من مصر – نزلوا الحجاز وأسسوا فيها المدن فهذا قول يخالف الحقائق التاريخية الواردة فى شأن الهكسوس أيضا.

فيقرر المؤرخون: أن الهكسوس بعد طردهم من مصر مكثوا فى فلسطين ست سنوات ثم تقهقروا شمالا إلى سوريا بعد هزيمتهم فى الموقعة المشهورة فى مدينة شاروهين إحدى المدن جنوبى فلسطين [٤] بعد حصار دام ثلاث سنوات[٥].

---

(١) كان أستاذا لعلم الآثار المصرية وتاريخ الشرق بجامعة شيكاجو ومديرا لدار التحف الشرقية بمدينة هاسكل والعضو المراسل للمجمع العلمى ببرلين.

(٢) من كتاب: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى. تاليف جيمس هنرى برستد ترجمة الدكتور حسين كمال. ط الأولى ١٣٤٧هـ – ١٩٣٩م ص١٢٩.

(٣) المصدر السابق ص ١٤٢.

(٤) من الآثار التى بقيت للهكسوس فى مصر رواية عن قصة لأحد القواد المصريين الذين طردوا الهكسوس تدل على أنهم اقتفوا أثرهم فى مطاردتهم جنوبى فلسطين حتى بلاد فينيقيا أو سلسريا، انظر تاريخ مصر من أقدم العصور ص١٣٩، ١٤٠.

(٥) تاريخ مصر من أقدم العصور ص١٤٢ ود. أحمد فخرى فى بحثه السابق ص٩٢ وتاريخ الحضارة المصرية. العصر الفرعونى، ألفة نخبة من العلماء، المجلد الأول من بحث بعنوان (لمحة فى تاريخ مصر السياسى والحضارى) للدكتور محمد جمال الدين مختار ص١٠٢، وبحث بعنوان (النظم الاجتماعية) للدكتور عبدالمنعم أبو بكر ص١٢٢.

وعلى هذا فإن حياتهم لم تمتد إلى داخل شبه الجزيرة فى الحجاز بل كانت فى سوريا وفلسطين ولبنان وقد كانت نواة امبراطوريتهم هناك عند نهر الأورونط (العاصى) [١].

والتأثر والتأثير اللغوى والاجتماعى بينهم وبين المصريين حدث خلال فترة وجودهم بينهم فيقال: إن الهكسوس نشروا لغتهم السامية بين المصريين [٢] كما تأثروا هم أيضا بلغة المصريين وتقربوا إلى معبوداتهم كنفاق سياسى [٣].

وهذا التحقيق التاريخى ينفى أن يكون للهكسوس وجود فى منطقة الحجاز، فادعاء الكاتب أن مرحلتهم الهكسوسية هى فترة الجاهلية الأولى للعرب ادعاء غير صحيح [٤] كما أن هذا التحقيق ينفى – أيضا – أن يكونوا هم الأماليك الذين عرفوا باسم العماليق حيث لم ينزل الهكسوس مناطق الحجاز ولم يؤسسوا به أية مدينة، وقد اعتمد الكاتب فى ذلك على بعض الروايات التى لا يوثق بها [٥].

وعلى العكس من ذلك فإن الهجرات كانت تتم من جنوب الجزيرة إلى شمالها نتيجة التجارة وهدم سد مأرب، ومن المهاجرين عرب الغساسنة – فى حوران بسوريا – والمناذرة (بنو لخم): فى الحيرة بالعراق [٦] وقد أكدت ذلك النقوش الكثيرة [٧].

---

(١) تاريخ مصر من أقدم العصور ص١٤٢. (٢) المصدر السابق ١٣٩.

(٣) من بحث الدكتور محمد جمال الدين فى تاريخ الحضارة المصرية ص١٠٣.

(٤) قيل: إن هكسوس معناها: (ملوك الرعاة) لأن الجزء الأول «هيك» معناه بالقلم البربائى (ملك) و(سوس) لفظ فى اللغة الدارجة معناه «الراعى» بيد أن روايات أخرى تفسرها بأنها (حكام الأراضى) وهذا يؤكد بطلان القول بأن مرحلتهم تمثل الجاهلية الأولى للعرب.

(٥) خلاصة تاريخ العرب ص٢١ والعمالقة بنو عمليق بن ولاذ بن سام المضروب بهم المثل فى الطول والجثمان.

(٦) د. أحمد فخرى ص١٧٩، ١٨٠ وكان ذلك فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين، انظر: موسكاتى ص٢٠٤ وبحث الدكتور خالد طه الدسوقى فى مجلة كلية اللغة العربية: العدد السادس ص٢٥٥.

(٧) وصل عدد النقوش اليمنية الآن أكثر من خمسة آلاف نقش فيها معلومات كثيرة عن ممالك الجزيرة العربية فى الجنوب كما وصلت إلى أيدى العلماء عشرات الآلاف من المخربشات القصيرة على واجهات الصخور فى شمال بلاد العرب بين ثمودية ولحيانية وغيرها جعلتنا نعرف الكثير عن عرب الشمال. انظر د. أحمد فخرى ص١٥٩.

وهناك هجرات تمت من بلاد الحجاز إلى الشمال نزحت فيها قبائل الإسماعيليين (نسل إسماعيل عليه السلام) ومنهم بنو قيدار وبنو ثابت، أما بنو قيدار فقد انتقلوا من الحجاز إلى يثرب ومنها إلى مدائن صالح حيث تركوا بعض نقوش وفق العلماء حديثا إلى كشفها وحل رموزها، ومن مدائن صالح تابعوا هجرتهم شمالا إلى خليج العقبة، ومنه إلى وادى موسى حيث ألقوا عصا الترحال، وأما بنو ثابت (المعروفون بالنبط أو النبطيين) فقد نزحوا مع بنى قيدار من الحجاز إلى الشمال واستقروا فى منطقة خليج العقبة وتركوا آثارا كبيرة وفيهم ظهر الخط المعروف بالخط النبطى الذى اشتق منه الخط العربى [١].

وقد اختلف علماء الساميات فى تحديد تواريخ هؤلاء الثموديين، واللحيانيين وغيرهم ممن كانوا يستوطنون الشمال مثل الصفويين (أهم مراكزهم فى حوران جنوبى سوريا) ورأى بعضهم أنهم عاشوا وازدهرت ثقافتهم قبل ظهور المسيحية بقرون، كما رأى البعض الآخر أنهم لم يظهروا إلا فى القرن الأول المسيحى، ورأى فريق ثالث أنهم لم تكن لهم ثقافة إلا قبل الإسلام بقليل، ولم يتفقوا إلا فى أمر واحد وهو أنهم كانوا وثنيين وعاشوا قبل ظهور الإسلام وأن لغتهم تنتمى إلى مجموعة اللغات السامية الشمالية [٢].

ويذكر القرآن الكريم أن ثمود كانت بعد عاد ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا**﴾[سورة الأعراف: ٧٤] ومما يذكر المؤرخون أن عادا بادت بعد وجود سيدنا إبراهيم وبناء البيت بمكة وإبراهيم ولد – على ما تذكر بعض الروايات – عام ١٨٥٤ق.م. وتوفى عام ١٧١٧ق.م. ويمكن القول بأن قوم ثمود ظهروا وعاشوا وبادوا فى الفترة ما بين عام ١٨٢٤ إلى ما قبل عام ١٢١٦ق.م.، ومنهم اللحيانيون الذين انفصلوا عن الأمة الثمودية حوالى منتصف القرن الخامس ق.م.، وكان الثموديون يسكنون أول الأمر فى الأحقاف بين اليمن وعمان ثم اتخذوا الحجر [٣] موطنا لهم، واتجه بعضهم إلى اليمن مرة أخرى ووجدت لهم

---

(١) فقه اللغة د. وافى ص٨.
(٢) د. أحمد فخرى ص١٦١.
(٣) شمال غرب الجزيرة.

أمة استمرت حتى بعد الميلاد، وكان لهم وجود فى أماكن كثيرة من الجزيرة وربما بقيت أمتهم إلى ما بعد الإسلام وقد دلت على ذلك الآثار والنقوش (١).

ويدل على قدم ثمود فى الوجود وأنها تمتد إلى أعماق سحيقة فى التاريخ قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ * أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ** ﴾[ابراهيم: ٨، ٩].

وإن قوم عاد وثمود قبائل عربية قديمة أثبتت النقوش التى عثر عليها أن لغتها قريبة الشبه من لغة العرب الباقية (٢).

والجوانب الفونطيقية التى اعتمد عليها الكاتب للربط بين ثمود و(خمودى) أحد ملوك الهكسوس لا تتفق مع قوانين علم اللغة الحديث من الصلة الصوتية بين الأصوات والحروف إذ يجب أن يتم التبادل على أساس من التقارب الصوتى فى المخارج والصفات (٣).

والصلة بين (خمودى) و(ثمود) بعيدة فالخاء لا تتفق مع الثاء مخرجا بل هما متباعدتان تماما مما لا يمكن معه تصور التبادل بينهما.

هذا مع ما يلحظ من الفروق الدقيقة بين الأصوات فى اللغات السامية مما يثبته علم التشكيل الصوتى فالصوت الواحد، أو ما يسمى فى عرف الأوروبين بالفونيم فى موقعه من الكلمات يختلف عن صاحبه اختلافا بينا من حيث المعنى المراد، ولو كان القرب الشبهى واضحا بينهما، وتأمل معى هذه الكلمات المشتركة فى حرفين والمختلفة فى حرف واحد: (نام: عام. صام) - (بلى - بنى - برى): فالمعانى مختلفة باختلاف الوحدة الصوتية أولا أو وسطا كما ترى، ومع أنها متقاربة فى المجموعة الأخيرة من الأصوات.

---

(١) انظر: بحث (قوم ثمود بين روايات المؤرخين ومحتويات النقوش للدكتور خالد طه الدسوقى) بمجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد السابق ٢٥١ -٢٩٦.

(٢) فقه اللغة د. وافى ص٩٤ - ١٠٣.

(٣) انظر: بحثا لنا عن (تفسير بعض مشكلات العربية الفصحى) بمجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد السابق ص١٢١.

والعلاقة بين (ثمود) و(خمود) بعيدة من حيث المعنى فى اللغة العربية[١].

وقد اعترف الكاتب نفسه بأن العلاقة الفونطيقية لا تؤدى دائما إلى نتائج متحققة معينة[٢].

أما أن العرب جاءوا إلى الجزيرة من خارجها فهذا ما أثبتنا خلافه من قبل.

وأما القول بأن الموجة العربية تعد حديثة نسبيا فهو أمر يخالف الواقع وهو أن العرب لم يغادروا الجزيرة، وهم الطائفة السامية التى بقيت ممثلة للشعب السامى الأول، بل إن الأستاذ فيليب حتى يرى أن هذه الهجرات التى أطلق عليها الأوربيون اسم السامية ليست فى الواقع إلا هجرات عربية قديمة خرجت من شبه جزيرة العرب تحمل شعوبا وثقافات متجانسة كلها عربية بعضها عربى قديم وبعضها عربى أحدث وهكذا، وهذا يتفق مع تقسيم العرب إلى عرب بائدة وعرب باقية، وليست اللغات البابلية أو الأشورية أو الكنعانية أو الآرامية أو العبرية إلا أشكالا متطورة من اللغة العربية القديمة وليست العربية الحديثة إلا الشكل المتطور الحديث لهذه اللغة العربية الأقدم. واستمرت فى التطور حينا بعد آخر حتى استوت فى العربية الحديثة لغة القرآن الكريم[٣].

وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على أن اللغة العربية تعد أقدم اللغات السامية وأنها كانت – ولا زالت – تمثل اللغة الأصلية للساميين.

ويذكر بعض الباحثين أن الهجرات العربية ظلت تتدفق على مصر منذ

---

(١) فالثمد الماء القليل الذى ليس له مدد وثمد الماء: قل وله معان أخرى تدور حول ذلك حقيقة أو مجازا – وخمدت النار: سكن لهبها ولم يطفأ ولها معان أخرى تتعلق بذلك أيضا. انظر – على سبيل المثال: المعجم الوسيط ١ / ١٠٠، ٢٥٤.

(٢) مقدمة ص١٩ وتنسب ثمود إلى ثمود بن جائر بن إرم بن سام بن نوح. انظر: جواد على: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ١ / ٣٢٤ وفى تاج العروس ٢ / ٣١٢ واللسان ٣ / ١٠٥ ثمود – كصبور – بن عابر بن سام قبيلة من العرب الأول ويقال: إنهم من بقية عاد وقيل غير ذلك، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير ١ / ١٣٠ ومابعدها.

(٣) فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ترجمة حتى وآخرين بيروت ١٩٥٢ وانظر : د. غلاب ص٤٩٥.

عصور ما قبل التاريخ وطوال العصور التاريخية حتى الفتح الإسلامى فى القرن السابع الميلادى بدرجة كبيرة أو صغيرة طبقا للظروف السياسية والاقتصادية.

وبلاد العرب كانت تقذف بالموجة تلو الأخرى إلى وادى النيل عبر البحر الأحمر وعن طريق سيناء والتى كانت منذ القدم قنطرة مفتوحة للهجرات، ومن هذه الهجرات:

١- هجرة قبائل كهلانية من عرب الجنوب استقرت فى الجزء الشمالى الشرقى من مصر فى مطلع المسيحية.

٢- هجرة قبائل من طىء - فرع كهلانى آخر من المجموعة الجنوبية - كان من أهمها قبيلتا لخم وجذام اللتان استقرتا فى محافظة الشرقية.

٣- قبيلة (بلى) التى استقرت - فيما بين قنا والقصير وكان عليها الاعتماد فى نقل التجارة الهندية.

٤- النقوش تثبت لنا وجود تجار تدمريين مستقرين فى مدينة قفط فى صعيد مصر منذ القرن الثانى الميلادى.

٥- هجرة بطون من خزاعة - وهم فرع من الأزد - خرجوا فى الجاهلية إلى مصر والشام بسبب قحط أصاب بلادهم، هذا فضلا عن الجماعات التى استقرت فى شرق الدلتا قبل الإسلام(١).

وقد حاول الكاتب أن يعتمد على أفكاره التى نقضناها ليثبت أن اللغات السامية من فروع اللغات الهندية الأوروبية وأن اللغة العربية تتحد فى أصولها مع الهندية الأوروبية إذ هى فرع من الساميات.

فقد حاول أن يجعل سكان العراق الأصليين - وهم من الجنس السومرى - ينتمون إلى الجنس الهندوأوربى يقول: وقد دلت الأبحاث التاريخية والأثرية علي أن حضارة سومر فى جنوب العراق وهى أقدم حضارة معروفة فى بلاد ما بين النهرين كانت حضارة هندية أوروبية، فبتحليل نقوشها وجد العلماء أن اللغة السومرية لغة ميدية سيكيذية وهذا يشير إلى موجات هجرة بشرية خرجت فى أوائل الألف الثالثة ق.م. من مراعى ميديا فى شمال إيران المتاخمة لبحر قزوين

(١) انظر: د. بيومى مهران ص٣٣٤.

ومن مراعى سكيذيا فى القوقاز ومن مراعى سيميريا حول البحر الأسود واستقرت هذه الموجات فى بلاد ما بين النهرين، وأعطتها لغتها الهندية الأوروبية وربما أعطتها اسم (سومر) أو (ثومر) من اسم سيميريا القديم وانتشر هذا العنصر حتي شمل آسيا الصغرى وشمال أشور وشرقها وبين عامة السكان من القوقاز حتى علام شرق الخليج الفارسى[١].

مع أنه يناقض نفسه فينقل ما ذكر كونتنو عن جهل أصل هؤلاء الأقوام فهو يصنفهم أنثروبولوجيا بأنهم لا هندوأربيون ولا ساميون[٢] ويقطع الدكتور وافى بجهل أصولهم[٣] ويذكر الدكتور هندريك فان لون أن السومريين اندمجوا اندماجا تاما فى الأجناس الأخرى التى نفذت فيما بعد إلى الوادى الخصيب، وسرعان ما تغلب عليهم الأكاديون ثم خضع الأكاديون بعد ذلك بألف عام لحكم العموريين الساميين[٤] وأنت رأيت أن المؤرخ هندريك وغيره لا يقولون بانتشار هذا الجنس فى غير الوادى الخصيب ويفهم من كلامهم أن الجنس الذى انتشر هم البابليون والأشوريون والكنعانيون الذين كانت المنطقة تموج بهم وحلت لغتهم محل لغة السومريين الأصليين وإن تأثرت بها.

والكاتب يرى أن الموجات التى نزلت من القوقاز إلى العراق كانت تتكلم بفروع الهندية الأوروبية فيقول: «إن الثابت أن القبائل الآسية المنحدرة إلى الهلال الخصيب[٥] من القوقاز وما حول بحر قزوين والبحر الأسود ومن منطقة الأناضول ومن هضبة إيران أيا كان منبعها وأيا كان تكوينها الأنثروبولوجى كانت تتكلم لغة ميدية سكيذية وهى إحدى فروع المجموعة الهندية الأوروبية ربما تكون مجموعات منها قد نزلت شبة الجزيرة كما نزلت موجات منها فى الهلال الخصيب[٦].

---

(١) مقدمة فى فقه اللغة العربية ص٣١ -٣٣. (٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) فقه اللغة ص٢١ يقول الشعب السومرى شعب مجهول الأصل ومن المقطوع به أنه غير سامي ولا آرى.

(٤) قصة الجنس البشرى ص٢١.

(٥) يقصد الكاسيين من ١٥٣٠ ق.م - ١٢٠٠ ق.م ثم موجة الميتانى وهم الحريون ١٨٠٠ ق.م - ١٣٠٠ ق.م. ثم الفرس ٥٣٠ ق.م - ٣٣٠ ق.م ثم اليونان فى عهد الاسكندر ثم الفرس فى عهد الساسانيين ثم الساميين البابليين والأشوريين.

(٦) مقدمة فى فقه اللغة العربية ص٣٣.

ويحبذ أن يكون الساميون – على أى حال – قد تكلموا باللغات الهندية الأوروبية على افتراض المستحيل فى رأيه و هو أن الساميين نبعوا من شبه الجزيرة يقول : فإن كانت الأنثروبولوجيا البشرية تصر على وجود جنس مستقل بذاته فى الهلال الخصيب وفى شبه الجزيرة نبع من شبه الجزيرة أو وفد عليها من الخارج من مصدر غير هندى أوروبى فلا مناص من افتراض أن هؤلاء الساميين قبلوا اللغات الهندية الأوروبية سواء من الأساس السومرى أو من القبائل القوقازية والهندية الأوروبية المتعاقبة التى انحدرت عليهم من الكاسيين والميتانى والفرس[١].

وهذا تعصب لا يستند إلى دليل أى دليل فهو لا يرضى إلا أن يتكلم الساميون الهندية الأوروبية رضوا أو كرهوا ثبت فى رأية أو لم يثبت وصح ظنه أو لم يصح.

وليس هذا فى الحقيقة طريق البحث العلمى المنصف الذى يريد إبراز الأمور بجدية وموضوعية فالمسألة ليست إثباتا أو نفيا بقدر ما تعتمد على مصادر البحث والتوثيق وليس معه من ذلك شيء.

ولا ينسى الكاتب أن يشير إلى آثار اليونانية والرومانية والإيرانية فى اللغة العربية، فاليونان منذ عهد الاسكندر الأكبر – والرومان – منذ أولوس جلوس – وبيزنطة عبر قرون قد تركوا فى عرب شبه الجزيرة آثارا حضارية ولغوية هندية أوروبية سواء مباشرة أو عن طريق التواصل الحضارى مع أهل الشام عبر ٩٠٠ سنة من ٣٣٠ ق.م. وهو بدء فتوحات الاسكندر إلى ٦٢٢ م وهو تاريخ الهجرة النبوية[٢].

غير أنه يقول إن تأثيرات الفرس واليونان والرومان وبيزنطة فى اللغة العربية مهما كانت قوية وعميقة فهى تأثيرات حضارية وليست تأثيرات حيوية بيولوجية[٣].

ومع هذا التحامل والتعصب فإننا سنناقشه بهدوء وموضوعية آملين أن يجد فيما نقول ما يوضح الحقيقة للباحث والقارىء على سواء.

---

(١) المصدر السابق ص٣٣، ٣٤.
(٢) مقدمة ص ٤١ وانظر: ص٤٢.
(٣) المصدر السابق ص٤٢.

فنحن لا ننكر تأثر اللغات السامية ببعض اللغات التى عاصرتها سواء من المجموعة الهندية الأوروبية أو الحامية.

فالتشابه قائم بين اللغات السامية وبعض اللغات الحامية كالبربرية والكوشية، مع أن مسافة الخلف بينهما كبيرة وربما لم يتعد التشابه بعض المفردات والقواعد وربما كان ذلك ناشئا عن تأثر بعضها ببعض وكان بين العبرية والبربرية بعض صلات القربى والتلاقى على سبيل التأثر والتأثير[1] ومع ذلك لا يمكن القطع برأى فيه.

وإذا كان حدث تأثر وتأثير بين المصرية وبعض اللغات السامية فإن رسائل (تل العمارنة) تفيد أن المؤثر هو اللغات السامية لا العكس.

يقول الدكتور وافى عن البابلية والأشورية (ولم يقتصر استخدام هذه اللغات على مملكتى بابل وأشور بل امتد نفوذها فى العصور الذهبية لهاتين المملكتين إلى كثير من الممالك المجاورة لها فقد عثر فى تل العمارنة – عاصمة مصر فى عهد اخناتون – على رسائل مدونة باللغة الأكادية يرجع تاريخها إلى أواخر القرن الخامس عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر ق.م. (١٤١١ – ١٣٥٨ق.م.).

وتشتمل هذه الرسائل على مخابرات دارت بين ملوك مصر فى ذلك العهد (أمنوفيس الثالث وأمنوفيس الرابع وأخناتون أو بعض الأمراء الشرقيين وبخاصة الأمراء الكنعانيون وبعض هذه الرسائل متبادلة بين ملوك مصر وأمراء بابل وأشور وأكثر هذه الرسائل مبعوث منه إلى مصر وأقلها مبعوث به من مصر)[2].

واللغة المصرية القديمة – وإن كانت حامية تصنيفا – فإن جمهرة من العلماء يرجعونها إلى عائلة اللغات السامية ومنهم:

---

(١) فقه اللغة د. وافى ص١٩، ٢٠.

(٢) انظر: د. وافى ص ٢٣، ٢٤ وعدد هذه الوثائق أربعمائة وثيقة يوجد من أصولها المنقوشة بالخط المسمارى على لوحات من الصلصال ١٩٤ وثيقة فى متحف برلين و٨٢ فى المتحف البريطانى و٥٠ فى متحف القاهرة، وبقية الوثائق مبعثرة فى متاحف خاصة وعامة فى حواضر مختلفة، ومن بينها وثيقتان فى نيويورك. وانظر: د. أحمد فخرى ص١٢٠ وما بعدها.

F. : Hommela frmam A Fmter - A. Kwmal T. W. Thaker. T. Benfey. A. SeIne, F. Petrie, H. Brugsch, 7, Pemorgan,

ويستدلون على ذلك بأن اللغة المصرية القديمة قد اشتركت مع الساميات فى خصائص عدة كان من أوضحها وجود حرف العين بين حروفها، وشيوع المصدر الثلاثى بين أفعالها وغلبة الفعل المعتل الآخر فيها وكتابة الحروف الساكنة وشبه اللينة فى كلماتها دون حروف الحركة واستخدام حرف الميم ضمن أدوات النفى فيها وفى بقية اللغات السامية وإضافة تاء التأنيث فى نهاية بعض أسمائها وصفاتها المؤنثة وتشابه ضمير جمع المتكلم المطلق فيها مع مثله فى اللغة العربية، هذا بالإضافة إلى استخدام ما تستخدمه اللغة العربية الحالية من الإضافة المباشرة وغير المباشرة، وإلحاق الصفة بالموصوف واستخدام تمييز البعض من الكل، واستخدام الجملة الفعلية إلى جانب الجملة الاسمية، وتأكيد الجملة الاسمية أحيانا ببدئها بحرف (إن) وإضافة تاء المخاطب للمذكر والمؤنث المفردين فى إحدى صيغ الفعل الماضى، وإضافة ميم المكان وميم الأداة إلى بعض أسمائها وأفعالها لتأليف أسماء مركبة تجرى مجرى الأسماء العادية على غرار المتبع فى اللغة العربية.

فإذا أضفنا إلى ذلك أنها كانت تشتمل على نسبة مهمة من المفردات والكلمات السامية وقد أثبت البعض اشتراك أكثر من عشرات الكلمات بين المصرية القديمة والعربية مثل الكلمات حسب – خب – ختم – خر – شد – تم – تمم – نحر – نعى – بألفاظها العربية العادية كما عبروا عن الماء بلفظ (مو) وهو نفس اللفظ الذى استعمله الأكاديون واليمنيون القدامى ومن أقوالهم (هرية منية) أى يوم المنية كل ذلك وغيره يدل على الصلة بين المصرية والسامية.

ويشهد المورخون بأن التأثير الغالب للسامية لا للمصرية [1] تبعا للتأثير الحضارى الذى نقله الساميون إلى مصر، فكثير من صور الآلهة التى عبدت فى مصر لها شبه بما كان موجودا فى جزيرة العرب، كاسم الإله (حور) إذ هو غريب

(١) اقرأ فى هذا الصدد بحث الدكتور مهران فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد السابق ص٣٢١ وما بعدها وانظر على الخصوص صفحات : ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٢، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٣٤.

على اللغة العربية ولكنه موجود فى اللغات السامية، وبعبارة أدق فى اللغة العربية حيث تطلق العرب اسم (حر) على الصقر المعروف باسم Faucon Pelerin : وما زالت كلمة (حر) مستعملة إلى الآن فى كثير من بلاد العرب وشمال أفريقيا لهذا الطير [١].

وكذلك عثر على قطعة برونزية من الآثار السبئية محفوظة فى متحف فينا نشرها جرومان تمثل الإله (بس) جالسا بين تيسين وفوق رأسه طائر باسط جناحيه وهذا الإله نسبه المصريون القدامى إلى بونت وإلى أرض الإله التى هى أصلا اسم لبلاد العرب الجنوبية [٢]. وقد ذكر الدكتور مهران أدلة كثيرة على أن الساميين وبخاصة العرب كان لهم تأثير كبير على الجانب الأفريقى عن طريق الهجرات اليمنية إلى شرق أفريقية وأن نقوشا وآثارا كثيرة تفيد ذلك[٣].

والآرامية امتد نفوذها إلى مصر (فكان للآرامية نفسها فى مصر منزلة لا تقل عن منزلتها فى البلاد الأخرى [٤] بل امتد نفوذها فى مصر إلى ما بعد العهد الفارسى بزمن طويل كما تدل على ذلك الوثائق التى عثر عليها بجزيرة فيلة (أنس الوجود)[٥] وتشمل رسائل وعقودا مدونة بالآرامية على البردى والخزف ويرجع تاريخها إلى القرنين السادس والخامس ق . م .)[٦].

وكان ولا شك تأثير وتأثر بين البابلية والآشورية (الأكدية) ولغة السومريين سكان العراق الأصليين عند هجرتهم إليها والتاريخ يفيد تغلب الأكدية على لغة السكان الأصليين.

ولا ريب أن احتكاكا آخر حدث بين فروع الآرامية – وهى السريانية – وبين البونية، وكذلك بين الفينيقية واللاتينية، واللهجة البونية – لهجة قرطاجنة – كان لها احتكاك باللاتينية على سبيل التأثر والتأثير.

ونحن نعترف بأن اللغة العربية الجنوبية والشمالية التقت بأخواتها وتأثرت بها مع ما فيها من مظاهر التأثر باللغات الأخرى.

---

(١) المصدر السابق ص٣٠٠.
(٢) المصدر السابق ص٣٠٦، ٣٠٧.
(٣) المصدر السابق ص٣٩١ ومابعدها.
(٤) كآسيا الصغرى وفى جميع بلاد العراق وسوريا وفلسطين.
(٥) فقه اللغة د. وافى ص٥٤.
(٦) المصدر السابق ص٢٢.

فاللهجات العربية الجنوبية تأثرت بالآرامية [1].

والآرامية التقت مع العربية عند الفتح العربى وصرعتها العربية وهناك بعض النقوش التى كتبت بالعربية البائدة والسريانية واليونانية.

وهذا كله خلع بعض الآثار على الأدب العربى [2] لكنه لم يزد على ما كتب علماؤنا الأفاضل السابقون من بعض جوانب التأثير أما أن تعد اللغات السامية بعامة والعربية - بخاصة - فرعا من اللغات الهندية الأوربية فهذا ما لا يمكن القول به والدعوى العريضة بأن اللغة العربية تتطابق فى أصولها مع الهندية الأوربية لا يسندها دليل علمى فالثابت أن أوجه الخلاف بين العربية والساميات بصورة عامة وبين اللغات الهندية الأوربية كثيرة وشاسعة تبعا لما أثبته المحدثون من علماء اللغة وعلى رأسهم فريق من مستشرقى الألمان لما بين الفصيلتين من فروق جوهرية فى المادة اللغوية والقواعد والأساليب.

ونحن لا نستبعد أن تكون الفصيلتان انحدرتا من بقعة واحدة قبل انفصال الشعوب، فلما حدث ذلك بعدت كل منهما عن الأصل بتوالى العصور واختلاف البيئات، حتى صارت كل منهما فصيلة مستقلة قائمة بذاتها.

وقد ذهب القائلون بالتشابه إلى أن بعض الكلمات تتشابه فى الفصيلتين السامية والهندية الأوربية من حيث المبنى والمعنى ولكن البحث العلمى أثبت أن هذه الألفاظ تنحصر فى مجموعتين:

١- ألفاظ حكائية ولعلها منحدرة من اللغة الإنسانية الأولى ومن ذلك (لق) يقال فى العربية لقه أى ضرب عينه براحة يده ويقرب من هذا الفعل (لكه)[3] وفى الإنجليزية والإغريقية واللاتينية والألمانية والفرنسية كلمة تشبه (لق) فى لفظها ومعناها.

٢- الألفاظ المستعارة ففى العبرية نجد بعض أسماء تدل على أشياء موطنها الأصلى بابل أو آشور أو مصر أو إيران أو الهند.

---

(١) المصدر السابق ص٤، ٥، ٦، ٩، وانظر: فى علاقة العرب باليونان والرومان د. مهران ص٤١٣ - ٤٢٤ والحروب التى دارت والعلاقات التجارية وغيرها، ودخول المسيحية إلى الحبشة وبلاد العرب ص٤٢٣.

(٢) فقه اللغة د. وافى ص ٢٧ ومابعدها. (٣) المعجم الوسيط ٢/ ٨٣٥، ٨٣٧.

مثال ذلك الكلمة Karpas تفيد فى العبرية معنى الكرباس أى القطن وهى بالفارسية « كرباس » وفى السنسكريتية « كرباسا » وبالإغريقية كرباسس.

هذا. وهناك كلمات تكاد تتحد لفظا ومعنى فى معظم اللغات مثل كلمة المسك Musk والكافور والعنبر وهى أسماء لأشياء من منتجات الهند ونقلت مع مدلولاتها إلى البلاد الأخرى.

وإذا نظرنا إلى اللغات الهندية الأوربية كالإغريقية – مثلا – نجد فيها كلمات استعارتها من الساميات لأنها أسماء لأشياء موطنها الأصلى آسيا.

ومن ذلك كلمة Boos أى البوص – وهو القصب المعروف الذى كانت تصنع منه الأقلام وهو بالإغريقية « بسوس ».

و Livounah وهو اللبان الذى يمضغ وهو بالإغريقية « لبانوس ».

ومن المحتمل أن يكون الفينيقيون هم الذين نقلوا هذه الألفاظ من جهة إلى أخرى من آسيا إلى أوربا والعكس.

ولا ريب أن الاشتراك فى هذه الألفاظ ونحوها – وهى بالطبع محدودة – لا يدل على الصلة النسبية بين الفصيلتين السامية والهندية الأوربية أو اتحادهما وانما الذى يدل على ذلك الاشتراك فى أمور جوهرية كطرائق الاشتقاق والتصريف وأساليب التعبير وما إليها وفى عدد كبير من المواد اللغوية التى لا ترجع فى نشأتها إلى المحاكاة أو الاستعارة.

ولا يمكن القول كذلك بالعلاقة بين السامية والحامية لوجود فروق جوهرية فى القواعد وأساليب التعبير، ولعل اختلاط الهكسوس الساميين بالحاميين فى مصر أدى إلى نقل بعض الكلمات وكذلك عن طريق التجارة والمجاورة الجغرافية وذلك لا يكفى للقول باتحاد الفصيلتين أو تشابههما من جميع الوجوه [1].

وهذا يدعونا إلى أن نبين بعض وجوه الخلاف الجوهرية التى تجعل كلا من الفصيلتين السامية والهندية الأوربية قائمة برأسها فللساميات خصائصها التى تختلف فيها عن نظيرتها الهندية الأوربية وهى كثيرة نذكر منها:

---

(١) انظر فى هذا : فقه اللغات السامية للأستاذ حامد عبدالقادر فى حديثه عن الفصائل اللغوية.

١ – تتميز اللغات السامية – فى الجانب الصوتى – بغنى ملحوظ فى طائفة الحروف الصامتة ففيها حروف كثيرة مخرجها من الحنجرة والحلقوم واللهاة، وفيها ما نسميه بالحروف المطبقة التى يصحب نطقها قبض للحنجرة فهذه الحروف التى تتميز بها اللغات السامية والتى لا نكاد نجد لها نظيرا فى اللغات الأوروبية يمكن أن تدرج كلها تحت صفة عامة هى أن اللغات السامية أكثر من غيرها رجوعا إلى الوراء بما يمكن أن نسميه مركز الجاذبية Centre of Gravity فى نظام النطق (١).

ومن المعروف أن حروف الحلق ولا سيما الحاء والعين نجدها بنطقها السليم فى العربية والعبرية والآرامية والحبشية ولكنها تضيع فى الأكدية وتحل محلها الهمزة وذلك بتأثير من السومرية التى لم تكن تعرف حروف الحلق.

وحروف التفخيم أو الإطباق هى الطاء والصاد والقاف والظاء والضاد والخاء والغين قد أجمع الباحثون فى مقارنة اللغات على أن القاف والطاء والصاد شائعة فى كل اللغات السامية، أما الظاء فالظاهر أنها من مستحدثات العربية الفصحى فى بعض ما كان فى الأصل ضادا والضاد بلا شك من خصائص العربية الفصحى ولذا شاعت تسمية العربية بلغة الضاد.

وقد استنتج الباحثون عن اللغة السامية الأم – وفى مقدمتهم بروكلمان ورايت وبورشتاين وغيرهم أن العربية فى هذا ناطقة بما كان فى نطق السامية الأم من هذه الأصوات وأن اختفاء بعضها من بعض اللغات السامية الأخوات طارىء عليها(٢).

٢– تتكون المواد اللغوية فى الساميات غالبا من أصول ثلاثية الأحرف تسمى (الجذور) ومن الأصل الثلاثى تشتق الكلمات وتتولد عن طريق الحركات التى تنوع المعنى مثل «كـ ت ب» فهى الجذر الثلاثى ومنه تتولد كلمات كثيرة للمعانى المرادة فإذا حركت جميعها بفتحات فهى فعل ماض مبنى للمعلوم وبضمة فكسرة فهى فعل مبنى للمجهول وهكذا.

ويمكن أن يكون التوالد والاشتقاق بإضافة مقاطع حروف فى الصدر أو الوسط أو الآخر وهو ما يسمى بحروف الزيادة ففى الصدر كما فى مكتب

---

(١) موسكاتى: ص٤٤. (٢) الساميون ولغاتهم ص١٧ – ١٩ بتصرف.

واستكتب وفى الوسط مثل: كاتب وكتاب وفى الآخر مثل: كتبة أو هذه مجتمعة بعضها أو كلها كما فى مكاتب وكتابة ومكتوبات ونحو ذلك [١].

والمعاجم الخاصة باللغات السامية لا ترتب على حسب الكلمات المفردة كمعاجم اللغات الأوربية ولكن على حسب الجذور فالكلمة «مكتب» لا ترد تحت الميم ولكن تحت الجذر «ك ت ب» [٢].

٣- وتصاغ الأفعال فى الساميات بتغيير الجذر تغييرات ثابتة تعبر عن معان مشتقة من المعنى الأساسى كشدة الفعل أو تكراره أو بنائه للمجهول أو المطاوعة والمشاركة فى الفعل ويعبر بأبسط صيغ الفعل وهى الماضى لا بالمصدر فيقال «كتب» مثلا فإذا ترجمناه إلى الإنجليزية دللنا عليه بالمصدر فيقال To Write وإن كانت هذه الصيغة تعنى فى الواقع He has Written [٣].

٤- وللغات السامية نظام فى تصريف الفعل يختلف اختلافا بينا عما فى اللغات الهندية الأوربية ففى الساميات للفعل زمنان، زمن انتهى وزمن لم ينته[٤] فالصيغة الأولى تدل على تمام وقوع الحدث وانقضائه وانقطاعه وهى التى تسمى بصيغة الفعل الماضى والثانية تدل على استمرار الحدث وعدم تمامه وهى التى تسمى المضارع [٥].

وهذا الزمن يستنتج من السياق فإذا كان الحدث تاما أو تم أو سيتم أو اعتبره المتكلم تاما أى إذا كان حقيقة تم وقوعها استعملنا الماضى ونظيره فى اللغة الإنجليزية قد يكون الـ Pluperfect أو الـ Past أو ال Perfect الذى يشير إلى حدث

I had Written, I have already Written, I Wrote yesterday

وقد يكون نظيره الـ Perfect أو الـ Present الذى يشير إلى حدث فى المستقبل:

I will Come When I have Written

---

(١) موسكاتى: ص٤٤، ٤٥ ود. حسن ظاظا ص ٢٠، ٢١ بتصرف.

(٢) موسكاتى: ص٤٥. (٣) المصدر السابق: ص٤٦.

(٤) يستثنى من ذلك اللغات الأكدية فللفعل فيها ثلاثة أزمنة. فقه اللغة د. وافى ص١٧. (٥) الساميون ولغاتهم ص ٢١.

This letter, He Will find out When I Write to him.

وقد يكون نظيره : الـ Futur Perfect

I am- was- Will be writing

ويمكن أن ندرك ذلك من تأملنا فى هذه التعبيرات فى العربية : وصلنى خطابك – إذا وصلتك هذه الرسالة فافعل كذا وكذا – ﴿ **أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾[النحل : ١] .

وإذا اعتبر حدثا لم يتم أو حدثا اعتباريا أو حدثا يراد فعله استعمل المضارع ونظيره فى اللغة الإنجليزية قد يكون فعلا دالا على حدث مستمر :

I am- was- will be writing

أو عبارة دالة على حدث اعتيادى :

I used to write, I write- wrote- will write every week.

أو عبارة دالة على عمل يراد أو كان يراد فعله :

I Shall write, I was going to write (١)

ويمكن أن ندرك ذلك من تأملنا فى هذه التعبيرات العربية :

لم يحضر فلان – وقوله تعالى : ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا** ﴾ [البقرة : ١٤٢] .

وقول الشاعر :

قد أشهد الغارة الشعواء تحملنى

جرداء معروقة اللحيين سرحوب

وقول الآخر :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس (٢)

---

(١) موسكاتى : ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) الساميون ولغاتهم د . حسن ظاظا : ص٢١ ، ٢٢ وانظر له : اللسان والإنسان ص١٦٤ .

٥- الجملة فى الساميات نوعان اسمية وفعلية ففى الاسمية يوضع المسند إليه فى الصدر وتكون بقية الجملة مسندا يخبرنا بشيء عن ذلك المسند إليه وهذا هو ما يعبر عنه بالمبتدأ والخبر ولا توجد رابطة بينهما من فعل مساعد أو غيره كما هى الحال فى مجموعة اللغات الهندية الأوربية وفعل الكينونة To be يفهم عادة من السياق فيقال زيد عاقل نظير Zaid is Wise وتجد مثل ذلك فى بعض اللغات الأوربية. أما الجملة الفعلية فيوضع فى صدرها الفعل ثم يتبعه الفاعل، وهى الصورة العادية للتعبير عن حدث أو مرحلة فى حكاية، مثل قال زيد لأبيه بتقديم «قال» على «زيد» بخلاف الوضع فىZaid said to his father بتقديم الفاعل على الفعل فى الإنجليزية [١] وتقديم الفاعل على الفعل فى العربية لا يكون إلا لغرض بلاغي ففرق كبير فى العربية بين أن نقول حضر محمد ومحمد حضر[٢].

٦- تتبع الساميات طريقة سهلة فى تكوين الجمل وربط بعضها ببعض بروابط محدودة المعنى كالفاء التى تفيد الترتيب والتعقيب وثم التى تفيد الترتيب مع التراخى والواو التى تستعمل للربط مطلقا دون قيد.

فاللغات السامية تفضل وضع الجمل بعضها إزاء بعض على أن تستنتج من السياق العلاقة التى تربط إحداها بالأخرى سواء كانت علاقة شرطية أو غائية أو سببية أو ما أشبه ذلك وهى بذلك تستغنى عن بعض أدوات الوصل التى تتصدر الجمل الفرعية ومن ذلك الجملة الحالية فى مثل قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [الأعراف: ١٤٠] أى مع أنه فضلكم وذلك يحتاج إلى كثير من وجوه الربط فى اللغات الهندية الأوربية [٣].

٧- للسامين طريقتهم الخاصة فى بناء الكلمات فالعربية والحبشية من اللغات السامية تستخدمان ما يسمى جمع التكسير إلى جانب الجمع السالم، وهذا الجمع يتم عن طريق التغيير الداخلى ويكون هذا عادة بتغيير الحركات مثل جمع كتاب على كتب وهذه ظاهرة فريدة فى بابها، ومن الأمثلة الطريفة أن

---

(١) موسكاتى: ٤٧ ود. حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم ٢٣ بتصرف.

(٢) انظر كتابنا: علم اللغة بين القديم والحديث ص٢٢٦.

(٣) موسكاتى: ٤٧.

الكلمة الإنجليزية Inch «بوصة» اقتبسها بعض العرب فى صيغتها المفردة فقالوا: انش ثم جمعوها على «أنش» - بضم الهمزة والنون - وهو جمع طبيعى واضح تماما فى نظر العرب فى حين أننا لا نجد ذلك إلا فى كلمات قليلة فى الإنجليزية مثلا ففى الإنجليزية صيغ فعلية مثل: Sing- sang- sung

واسمية مثل Song وفيها تصاغ الجموع على نحو مماثل كالجمع Men للمفرد Man إلا أن ذلك قليل فيها (١).

٨- تنقسم الأسماء والصفات فى الساميات من حيث النوع إلى مذكر ومؤنث فقط ولا ثالث لهما وللمؤنث - فى كثير من الحالات علامات تلحق آخره.

أما الفصيلة الهندية الأوربية ففيها ثلاث طوائف لكل منها سلوكه اللغوى الخاص مذكر ومؤنث ونوع ثالث يسمى بالمحايد (٢).

٩- الإعراب سامى الأصل تشترك فيه اللغة الأكدية وفى بعضه اللغة الحبشية ونجد آثارا منه فى غيرها كما يقول برجستراسر، ففى الأكدية - كالعربية - تستخدم علامات الإعراب، فالمفرد يرفع بالضمة وينصب بالفتحة ويجر بالكسرة، والمثنى تقع فى آخره ألف ونون - فى حالة الرفع - وفى حالتى النصب والجر ينتهى فى البابلية بياء ونون وفى الآشورية بحركة إمالة متطورة عن الياء المفتوح ما قبلها والنون.

وجمع المذكر السالم يقع فى آخره واو مد (ضمة طويلة) رفعا أما فى حالتى النصب والجر فتستعمله البابلية بياء مد (كسرة طويلة) وتستعملة الأشورية بحركة إمالة طويلة كالسابقة.

---

(١) المصدرالسابق ص٤٥.

(٢) وهذا - كما يقول الأستاذ العقاد - وضع عقلى مخطىء لأن التقسيم الصحيح فى الجنس المتميز أنه مذكر ومؤنث وليس هناك جنس ثالث يسمى بالمحايد بل هناك أشياء لا جنس لها أصلا يستعار لها الجنس على سبيل المجاز فتلحق بالمذكر أو المونث على حسب المناسبة عند وضعها وليس هناك جنس ثالث ولو على الشذوذ كما يعرض للذكر المشكل أو للأنثى المشكل فإنها فى حقيقة التقسيم ذكر غير متميز أو أنثى غير متميزة ولا ثالث للجنسين يسمى بالجنس المحايد بينهما: انظر مجلة الأزهر: عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٨١ هـ وانظر كتابنا: أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى ص٨٩، ٩٠.

وجمع المؤنث السالم يرفع بالضمة وينصب ويجر بالكسرة كالعربية.

وفى الحبشية ينصب المفعول به ونظائره بالفتحة ويحرك المضاف بالفتحة كذلك وهى حالة غريبة لا توجد فى غيرها من اللغات السامية.

وتظهر بقايا الإعراب كذلك فى الأوجاريتية [١] وفى النبطية والعبرية، أما فى العربية فيكاد يجمع العلماء على أن الإعراب ظاهرة لغوية اتسمت بها من قديم الزمان ومنذ نشأتها[٢].

والمعروف أن العربية أقرب الساميات إلى السامية الأم لأنها عاشت فى أمية العرب محفوظة عن التغيير والتبديل[٣].

وهذا يؤكد للباحث المنصف أن الساميات فصيلة لها استقلالها وشخصيتها وجوهرها البعيد عن مجموعة اللغات الهندية الأوربية ولا يمكن أن تعدا فصيلة واحدة.

ومن هذا المنطلق فإن العربية لا يمكن أن تعد فرعا من اللغات الهندية الأوربية.

* * *

(١) من الفرع الكنعانى وهى لغة مدينة أوجاريت شمال اللاذقية وتعرف الآن برأس شمرة وكانت تقوم فيها مظاهر العمران البشرى فى القرن التاسع عشر ق.م وانتهت حياتها فى القرن الثالث عشر ق.م.

(٢) انظر كتابنا: علم اللغة بين القديم والحديث ص٢٢٦ ومابعدها.

(٣) الساميون ولغاتهم ص٢٥.

هجرات الساميين ولغاتهم

(الأكاديون) البابليون والآشوريون

موجتان ساميتان خرجتا من الجزيرة العربية مهاجرتين إلى العراق فالموجة الأولى طائفة سامية نزلت جنوبى العراق (وسط دجلة والفرات إلى الخليج العربى).

وهذه الموجة خرجت فى الألف الرابع قبل الميلاد (حوالى ٣٦٠٠ ق.م) ويقال: إنها أولى الهجرات أو أقدمها وقد أقام هؤلاء الساميون مملكتهم فى هذه المنطقة بعد أن تغلبوا على دولة السومريين التى كانت ذات حضارة ومجد [١].

«وكانت جماعات الساميين قبل ظهورها على المسرح السياسى بزمن تقيم فى أرض الرافدين حول أطراف المدن السومرية وتعيش على الرعى وفق تقاليدها القديمة، وكان أول عمل كبير أثبتت به وجودها هو ذلك النصر الذى قضت به على مملكة لوجلز جيزى وأقامت مكانها دولة أكد السامية وكان مؤسس دولة أكد هو سرجون Sargon الذى تقول عنه الأساطير إنه كان بستانيا من قبل [٢].

وكانت تتداول عدة أسماء لأماكن من هذه البلاد هى (سومر) – باسم سكان البلاد الأصليين وهم الجنس السومرى، و (بابليوينا) و (أكاد) التى سماها الساميون الجدد (كلدة).

ولذلك سمى الساميون الذين نزلوا هذه المنطقة باسم البابليين أو الأكاديين وسميت مملكتهم باسم المملكة البابلية أو الأكادية.

وحوالى الألف الثانى قبل الميلاد نزلت طائفة أخرى من الساميين بشمالى العراق (الطرف الأعلى لنهر دجلة)، وسيطروا على الشعوب الأصلية من سكان هذه المنطقة وهم جنس ليس بسامى ولا آرى، وأقاموا مملكتهم «عند ملتقى القرن التاسع عشر بالقرن الثامن عشر قبل الميلاد»[٣] وجعلوا عاصمتها (أشور).

---

(١) بدأوا بشق القنوات، واستغلال التربة بعقل وتدبير وأقاموا المعابد والتماثيل. الحضارات السامية القديمة لموسكاتى ص ٦٦.

(٢) المصدر السابق ص٦٧. (٣) الحضارات السامية القديمة ص٦٩.

وقد خضعت دولتهم – فى أول الأمر – للبابليين، ثم استقلت فيما بعد، واتخذ أحد ملوكها (سنحاريب) (نينوى) عاصمة له وترك (آشور)، وبعد أن ضعف البابليون تمكن الأشوريون من القضاء على دولته حوالى القرن السابع أو الثامن قبل الميلاد.

وقد اتسعت فتوحات الأشوريين حتى شملت سوريا وفلسطين، ثم لما ضعفوا – بعد انغماسهم فى اللهو والمتع – قامت الحروب بينهم وبين أحد ملوك بابل الذى تحالف مع الفرس وغيرهم فسقطت عاصمتهم فى يده حوالى سنة ٦٠٦م

وفى غضون مائة سنة تقريبا قامت دولة بابلية كان من ملوكها (بختنصر) غير أنها ما لبثت أن سقطت على يد الفرس حوالى سنة ٥٣٩م.

* * *

اللغة الأكادية

(اللهجات البابلية والآشورية)

وقد وصلتنا لهجاتهم البابلية والأشورية [1] عن طريق النقوش التى اكتشف بعضها فى مملكة بابل مدونة على بعض التماثيل، وبعضها فى صورة مكاتبات ورسائل منقوشة على الخزف، ووصلتنا كذلك لهجات الأشوريين على آثار مكتشفة فى مناطق أشور، وكذلك مكاتبات ورسائل بين ملوك هاتين الدولتين وبعض ملوك مصر فى عهد الفراعنة (أمينوفيس الثالث وأمينوفيس الرابع واخناتون) وذلك فى رسائل (تل العمارنة) - بصعيد مصر - مما يؤكد انتشار هذه اللهجات فى أقطار أخرى مجاورة لمناطق هاتين الدولتين.

ويبدو من خلال هذه النقوش أن اللهجات الأكادية (البابلية والأشورية) كانت متقاربة فيما بينها - من الناحية اللغوية - لانحدارها من أصل واحد، ولاشتراك أهلها فى البيئة اللغوية التى يعيشون عليها، وتقاربهم فى الثقافة والحضارة، ولم تظهر فى تلك النقوش التى وصلتنا فروق تذكر، ولعل ذلك لأن هذه النقوش كتبت باللغة الأدبية الراقية مما جعلها لا تحمل سمات لغة المحادثة التى تتمثل فيها الفروق اللغوية بين لهجات هذه الشعوب، ولم يصلنا من لغة المحادثة عندهم إلا القليل وليس به دلائل تؤكد قربها أو بعدها من أختها التى تجاورها.

ويبدو أن هذه اللهجات (الأكادية) تأثرت بلغات السكان الأصليين من السومريين وغيرهم - وهم ليسوا من الأصل السامى - كما ظهر ذلك فى كتابة هذه اللهجات بالخط المسمارى أو الرسم ذى الزوايا، وترك هذا آثارا فى تشوه أصواتها وتأثيرا فى بعض ألفاظها ومعانيها مما جعلها تختلف بعض الاختلاف عن بقية اللهجات السامية الأخرى وعرفت وجوه خلاف بينها فى بعض الأفعال والأسماء.

---

(١) تطلق جمهرة الباحثين على لهجات هاتين الطائفتين اسم «اللهجات البابلية الآشورية» أو «اللهجات الأكادية». وأحيانا يكتفى بعض الباحثين بإطلاق التسمية المقصورة على فريق دون الآخر فيسمون لهجاتهم كلها: اللهجات البابلية.. - حين كانت الدولة البابلية مزدهرة (فى المدة من ٣٦٠٠ ق.م. - ٢٠٠٠ق.م) ويسمونها «اللهجات الآشورية» حين كانت الدولة الآشورية مزدهرة (فى المدة من سنة ٢٠٠٠ ق.م - ٥٠٠ ق.م).

الخط المسمارى

نظام الخط المسمارى كان شديد التعقيدفعلاماته مستنبطة من صور الأشياء – واستعمل المصريون مثله – وهو يسمى تصويريا Pictographic فهو يدل على الشيء برسم صورة له أو لجزء مميز من أجزائه فلكتابة « سمكة » – مثلا – ترسم صورة لها، ولكتابة ثور ترسم صورة لرأسه وقرنيه ولكتابه قمح ترسم سنبلة، وكان يدل على الأفعال بضروب من الأساليب البارعة فصورة القدم تعنى « الذهاب » وصورة فم الرجل مع إضافة العلامة الدالة على الخبز أو الماء تعنى « الأكل » أو « الشرب » وهكذا ولأنه كان لا يمكن الرسم بدقة اكتفى بمجموعات من الخطوط على نمط خاص تمثل الفكرة ولذلك سميت رموزا Ideograms

وكانت العلامات ترتب فى الأصل فى خطوط رأسية فى الطرف الأيمن العلوى للوح الصلصال الأملس ثم بدىء فى الركن الأيسر من اللوح ورتبت فى خطوط أفقية تقرأ من اليسار إلى اليمين والأكديةمن اللغات السامية القليلة التى تكتب على هذا النحو فإن الاتجاه المضاد الذى يسير من اليمين إلى اليسار هو المفضل لدى الساميين.

ولأن الكتابة المسمارية كانت لا تستطيع التعبير عن الأفكار المجردة حاولت استعمال علامات للتعبير عن الوحدة الصوتية المتعلقة بالصور وهى كتابة صوتية Phonetic مقطعية فالكلمة الدالة على اللبن هى ga استعمل لكتابتها المقطع ga دون نظر إلى معناه وبضم بعضها إلى بعض تكونت الكلمات وصيغ الأفعال فمثلا لكتابة الكلمة gaz ومعناها (كسر » كانت تكتب العلامة ga (الدالة على اللبن) ثم العلامة az (الدالة على الدب) فتتكون بذلك ga-az وعلى ذلك تطور نظام الكتابة فيها وهو يفسر إما على أساس رمزي وإما على أساس صوتى حسب السياق وصارت العلامات تقرأ بأكثر من قيمة صوتية فالعلامة المشتقة من قدم الإنسان تقرأ gin « سار » أو « gub » « وقف » أو tum (حمل) إلى غير ذلك من القراءات المحتملة للرمز وكانت توضع علامات تحديدية تدل على طوائف المعانى أو مكملات صوتية تعطى جزءا من المقابل الصوتى للمعنى المقصود، ويستدل لذلك بسياق الكلام – بدون هاتين الوسيلتين السابقتين.

ولذلك فإن هذا الخط كان – ولا يزال – مصدر حيرة لقراءة النصوص البابلية والآشورية. ولكن حاول الباحثون الاهتداء إلى فهمها فهما كافيا بمعرفة اللغات السامية الأخرى لما بين الأكدية وأخواتها من علاقات [1].

الكنعانيون

يطلق كنعان والكنعانيون على المنطقة السورية الفلسطينية بأسرها وعلى سكانها[2].

والكنعانيون طائفة سامية خرجت من الجزيرة العربية واستوطنت الساحل الشمالي الشرقي للبحر المتوسط في سورية وفلسطين.

ويقال: إنهم خرجوا من الجزيرة قبل القرن السابع والعشرين أو الخامس والعشرين قبل الميلاد على خلاف بين المؤرخين، وقد امتد نفوذهم إلى الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وأسسوا لهم مملكة زاهرة في أرض كنعان قبل أن ينزح الآرميون إليها بأكثر من ألف سنة[3].

ثم إنهم كانوا بحارة مهرة فصنعوا السفن، وجابوا البحر المتوسط، وغيره من البحار، فاستوطنوا بعض جزر البحر الأبيض، وأنشأوا لهم مملكة في شمال أفريقية عاصمتها قرطاجنة المشهورة، وقد امتد نفوذهم على سواحل البحر المتوسط إلى أن وصلوا إلى جنوبي إيطاليا، وشواطىء الأندلس، وظلوا يناوئون الرومان في حروب طويلة دامت من سنة ٢٦٤ إلى سنة ١٤٦ قبل الميلاد، ولكن سقطت دولتهم على يد الرومان سنة ١٤٦ قبل الميلاد، ثم إنه بسقوط الدولة الأشورية سنة ٦٠٦ قبل الميلاد خضعت كنعان للفرس.

* * *

---

(١) انظر: الحضارات السامية القديمة ص٦٣ – ٦٥ بتصرف يسير.

(٢) ويطلق كذلك على أي عنصر سوري فلسطيني لا ينتمي إلى الآرامية ويدخل بعض الباحثين الآراميين فيه. انظر: الحضارات السامية القديمة ص١١٤ وعنوان (الكنعانيين) عنوان تقليدي يتناول وصف تاريخ الشعوب السامية في سورية وفلسطين.

(٣) فقه اللغة د. وافي ص٣٠.

اللغة الكنعانية ولهجاتها

ولهذه الطائفة لغتها الكنعانية التى انقسمت – فيما بعد – ويحاول الباحثون الاستدلال على طبيعتها الأولى من خلال النقوش التى عثر عليها وقد ظهرت فى عدة صور:

١ – اللهجة الأجريتية:

هذه نسبة إلى مدينة (أجريت) وهو اسم مدينة قديمة (هى رأس الشمرة على الساحل السورى) بشمال الشام فقد اكتشف الباحثون سنة ١٩٢٩ م أن (تلا) يبعد نحو نصف ميل عن الشاطىء ويقوم بين فرعى نهر (يسمى الفد) يلتقيان بعد ذلك ويصبان فى البحر يغطى بقايا مدينة قديمة، والاسم العربى الحديث لهذا التل هو رأس الشمرة، ولكن لم يلبث علماء الآثار أن وجدوا أن الخرائب التى يغطيها هى خرائب أو جاريت ugarit وهى مدينة قديمة تذكرها وثائق مصر وأرض الرافدين، والحيثيين، واستمرت الحفائر عاما بعد عام تحت إدارة الأثرى الفرنسى شيفر Schaeffer.

وقد توقف العمل عام ١٩٣٩م لاندلاع الحرب العالمية ثم استؤنف مرة أخرى عام ١٩٥٠م ولكن الحفائر لم تتناول إلا جزءا صغيرا نسبيا من المدينة القديمة.

والنقوش التى اكتشفت فى رأس الشمرة كثيرة ومكتوبة بلغات عدة: الأكدية والمصرية والحيثية والحورية، ولغة أخرى مجهولة.

وقد اكتشفت في رأس الشمرة عدة مئات من الألواح والكسر أحدثت ثورة فى معلوماتنا عن الأدب الكنعانى والمجموعة الأساسية فى نصوص أوجاريت هى مجموعة الملاحم وشعر الأساطير، وهناك وثائق أو جاريتية أخرى من نمط إدارى أو دبلوماسى وفى عام ١٩٥٣م اكتشفت وثائق ملوك أو جاريت.

ولابد أن هذه الوثائق كلها كتبت قبل تخريب المدينة وهى ترجع إلى

ما بين سنة ١٥٠٠ و١٤٠٠ق.م (حوالى ١٣٥٠ ق.م) تقريبا والنقوش الأجريتية تلى الأكادية زمنيا[١].

وندرك من الكتابات التى وصلتنا أن بعضها مكتوب بالخط المسمارى وبعضها يوضح الكتابة الأوجاريتية المعتمدة على التدوين الصوتى للحروف فهى تستخدم رموزا لا تجاوز الثلاثين، فالأوجاريتيون اخترعوا الأبجدية، واستخدموا النظام الأبجدى (ا ب جـ د، هـ و ز، ح ط ى، ك ل م ن، س ع ف ص، ق ر ش ت) ومنه استفادت الأمم فى أبجدياتها بطريق مباشر أو غير مباشر[٢].

٢- اللهجة المؤابية:

نسبة إلى بلاد مؤاب التى تقع فى الجنوب الشرقى من البحر الميت.

وتمثلها مجموعة هوامش مدونة على رسائل أكادية أرسلها بعض أمراء فلسطين إلى حكام مصر ترجع نصوصها إلى عهد أمنحتب الثالث (١٤١٣ - ١٣٧٧ق.م) وأمنحتب الرابع (اخناتون) (١٣٧٧ - ١٣٥٨ق.م)[٣].

كذلك نقش ميشع ملك مؤاب ويرجع تاريخه إلى القرن التاسع ق.م، وقد سجل فيه حروبه وانتصاراته على العبريين، ويقع فى (٣٤) سطرا وهو مدون بكتابة سامية محضة.

وهو يتفق فى معظم الخصائص مع بقية اللهجات الكنعانية وجعله بعض الباحثين ممثلا للهجة مستقلة عن الفينيقية.

٣- اللهجة الفينيقية:

هى إحدى لغات المجموعة الكنعانية وهى لغة الساحل السورى والفلسطينى واللبنانى وتمثلها بعض النقوش التى اكتشفت فى (صور وصيدا وجبيل) وفى بعض المستعمرات التى انتشرت فى جزر البحر المتوسط - كقبرص وغيرها - ويرجع تاريخ بعضها إلى القرن التاسع والعاشر ق.م وبعضها إلى القرن الخامس ق.م.

---

(١) اكتشفت النقوش الأكادية حوالى سنة ٢٥٠٠ ق.م.

(٢) الحضارات السامية القديمة ص١١٦ وما بعدها.

(٣) أسس علم اللغة العربية ص١٦٨.

وتمثلها كذلك وثائق مارى الخاصة بالنصف الأول من الألف الثانى ق.م ورسائل تل العمارنة فى مصر ففيها بضع جمل تمثل لهجة منطقة جبيل فى القرن الرابع عشر ق.م.

«وهناك نقوش فينيقية وجدت فى المنطقة الساحلية لآسيا الصغرى وعلى الساحل الأوروبى للبحر المتوسط ولا سيما فى جنوب أسبانيا» (١).

وهى ترمز إلى الأصوات الساكنة التى تدل على أصول الكلمات فيها أما أصوات اللين فلم تعرف إلا من دلالة الرسم اليونانى الذى كتبت به بعض الأعلام والألفاظ الفينيقية لكنها دلالة غير دقيقة.

وقد ظلت الفينيقية قوية زمنا، وتأثرت بالآرامية قبل الميلاد بزمن ليس بالقليل، ثم طغت عليها الآرامية وحلت محلها حوالى أواخر القرن الرابع ق.م.

كما قضت فى الوقت نفسه على الأكادية.

٤- اللهجة البونية:

«كان أبرز خصائص النشاط التجارى للفينقيين تأسيسهم سلسلة من المستعمرات على طول سواحل البحر المتوسط فمنذ سنة ١٠٠٠ق.م ظهرت قواعد فينيقية فى جزر بحر إيجة وكيلكيا Cilicia ومالطة وصقلية وسردينيا وشمال أفريقية وأسبانيا وكانت قرطاجنة أهم هذه المستعمرات، وقد أسست صور قرب نهاية القرن التاسع ق.م(٢).

وتسمى اللهجة التى انتشرت فى هذه المناطق «اللهجة البونية» - فى مقابلة اللهجة البارزة من الفينيقية فى آسيا الصغرى (سوريا وفلسطين).

وعرفت هذه اللهجة اليونية عن طريق النقوش التى اكتشفت فى قرطاجنة وهى مدونة فى القرن الرابع ق.م أى أنها حديثة نسبيا مقارنة برسيلتها فى سوريا وفلسطين التى اكتشفت قبل ذلك بقرون عديدة (القرن العاشر إلى الخامس ق.م).

وهذه النقوش التى تحمل سمات اللهجة البونية معظمها مختصر وغامض الدلالة ومدون برسم يختلف من بعض الوجوه عن الرسم الفينيقى السابق.

---

(١) أسس علم اللغة ص١٦٥. (٢) الحضارات السامية القديمة ص١٢٥.

واللهجة البونية – فى قرطاجنة – عاشت زمنا طويلا – مع أنها بعيدة عن أخواتها الساميات – وتقع فى إطار لهجات الشمال الأفريقى التى تصطرع معها – اللهجات البربرية (لهجة السكان الأصليين لشمال أفريقية) واللغة اللاتينية (المصاحبة لأهلها ذوى الانتشار التجارى الاستعمارى هناك) ولبعد ما بينها وبين اللغات التى تصارعها والتى تنتمى إلى فصائل لغوية متباعدة عنها عاشت زمنا طويلا.

ولذلك بقيت البونية – بعد سقوط مملكة قرطاجنة على يد الرومان سنة ١٤٦ ق.م وظلت شائعة الاستعمال إلى القرن الخامس الميلادى وهناك دلائل على استمرارها فى الاستعمال حتى الفتح الإسلامى فى القرن السابع الميلادى، ولكنها مع هذا الصراع اللغوى لم تسلم من التأثر بما حولها من اللغات إذ تدل الآثار البونية التى عثر عليها بعد سقوط قرطاجنة علي تغير فى أصواتها ومفرداتها ودلالتها ولذلك يطلق الباحثون عليها فى تلك الحقبة – بعد سقوط قرطاجنة – اسم اللهجة البونية الحديثة.

وقد وجد خلط فى كتابة الكلمات التى تكتب بالحاء والتى تكتب بالهاء والتى تكتب بالهمزة والتى تكتب بالعين، وهذا يؤكد الخلط وعدم التمييز – فى النطق – بين هذه الأصوات تأثرا باللغة اللاتينية ودخلت ألفاظ لاتينية كثيرة فيها[١].

واليونان تعلموا الكتابة من الفينيقيين فأخذوا منهم الكتابة الصوتية وترتيب الحروف ولكنهم غيروا فى أصوات الحلق واستعملوها دالة على الحركات، وحولوا الكتابة عن اليمين إلى اليسار.

الخط الفينيقى

يعد الفينيقيون – إلى جانب الأوجاريتيين – أصحاب الخط الذى يعد أصل الخطوط السامية والعالمية وهو الخط الفينيقى.

فالخط الفينيقى يقوم على أساس تمثيل الحروف الهجائية بالرمز إلى

---

(١) أسس علم اللغة ص ١٦٦.

الأصوات الساكنة لا إلى المقطع الصوتى الذى يتألف من أكثر من صوت ولا إلى المعانى – كما كان ذلك فى الخط المسمارى الأكادى أو الرسم الهيروغليفى المصرى – والاكتفاء فى الرسم بالأصوات الساكنة اعتمادا على فهم أصوات اللين وطرائق النطق من السياق ثم استخدمت (الألف والواو والياء) للدلالة على الحركات، وبعد ذلك جاء الضبط بالشكل (الفتحة – الضمة – الكسرة).

ويختلف الباحثون فى تاريخ نشأة هذا الخط فاعتقد بعضهم أنه لم يظهر قبل القرن التاسع ق.م بناء على نقوش تل العمارنة التى ترجع إلى القرن الرابع عشر ق.م وهى مكتوبة بالخط المسمارى الأكادى مع أن بعضها صادر من مناطق كنعانية.

كذلك نقش ميشع ملك مؤاب الذى يرجع إلى القرن التاسع ق.م.

لكن فى بداية القرن العشرين تم اكتشاف نقوش فى شبه جزيرة سيناء مكتوبة بخط هجائى محض وهى مدونة فى المرحلة الواقعة من القرن العشرين إلى أواخر القرن الخامس عشر ق.م، كذلك اكتشفت لوحة منقوشة بخط هجائى سامى يرجع إلى القرن الثالث عشر ق.م مما يجعل العلماء يعتقدون أن الخط السامى الفينيقى ظهر قبل القرن التاسع ق.م بقرون عديدة[1].

ومن الخط الفينيقى نشأ الخط العبرى فى صورتيه القديمة والحديثة، وقد استخدمه العبريون بعد رجوعهم من نفى بابل إلى الآن ويسمى الخط المربع.

ومنه كذلك أخذ الخط الحبشى والتدمرى[2] والخط السريانى وعن السريانى تفرعت الخطوط المنغولية والمنشورية وعنه أيضا أخذ الخط النبطى[3]، ومنه ومن السريانى تفرع الخط العربى.

وكذلك الخط الآرامى ومنه تفرعت الخطوط الهندية فى شمال الهند،

---

(١) انظر فقه اللغة: د. وافى، والحضارات السامية القديمة ص١٢٠، ١٢١.

(٢) تدمر مملكة كانت فى واحة بصحراء سوريا فى الناحية الشرقية الشمالية من مدينة دمشق وبلغت أوج مجدها من سنة ١٣٠ إلى ٢٧٣ بعد الميلاد.

(٣) مملكة الأنباط كانت فى شبه جزيرة سيناء والخط النبطى هو أحد أنواع الرسم الآرامى، ومنه اشتق الرسم العبرى.

ثم انتشرت فى كل بلاد الهند، وماليزيا وما جاورها، وكذلك الخط السبئى أو ما يسمونه الخط اليمنى أو خط المسند وعنه تفرعت الخطوط الحبشية السامية.

وكذلك الرسم الإغريقى الذى أخذت منه الحروف اللاتينية ومن الأغريقى واللاتينى اشتقت الخطوط المختلفة فى أوروبا واستمرت حتى الآن.

العبريون(١)

كانت منطقة سوريا وفلسطين – وهى ملتقى هام بين ثلاث قارات – مطمعا للمهاجرين والغزاة المستعمرين من الدول المحيطة الكبرى فى مصر، وأرض الرافدين وآسيا الصغرى والبحر المتوسط لما فيها من خصب ونماء ومجال للمنافسات التجارية.

فكان فى سوريا وفلسطين دول صغيرة محلية يخضع بعضها لمصر وبعضها الآخر مثل حلب وقطنة وقرقميش تخضع لنفوذ البابليين والآشوريين الذين كانت حروبهم وفتوحاتهم مستمرة – بخلاف مصر التى كانت تكتفى بالجانب الاقتصادى كفرض الجزية ونحوها.

وكان هناك الحيثيون الذين انتشروا فى الأناضول ووطدوا أقدامهم أيضا فى شمال سوريا.

ثم وقعت منازعات بين الحيثيين والمصريين – أضعفت شأنهم – مما جعل هذه الدويلات المحلية الصغيرة تحاول الاستقلال وسرعان ما جاءت جماعات أخرى تحاول الاستيلاء على هذه المناطق منهم (الميديانيون والأدوميون والمؤابيون، والعمونيون) والعبريون وكان الآراميون هناك فى الشمال.

---

(١) يقال: إن العبريين ينتمون إلى أصل آرامى لأنهم كما تذكر التوراة من ذرية إبراهيم وقد وصف أحيانا بأنه الآرامى المتجول «فسفر التكوين يذكر ظهور الجماعة العبرية الأولى فى جنوب أرض الرافدين وكيف هاجر إبراهيم من أور ur وصعد فى نهر الفرات حتى حران ومن هناك نزل إلى فلسطين» (الحضارات السامية القديمة ص١٣٩) وينسبهم بعض المؤرخين إلى أصل حيثى أيضا، وكانت هذه الجماعة العبرية تحاول الامتزاج مع الكنعانيين تدريجيا وتم ذلك فى غضون بضعة قرون (المصدر السابق ص١٤٠) وقيل غير ذلك.

وكان ضعف الدول الكبرى – كمصر والحيثيين وغيرهم – مؤديا إلى قيام العبريين بتوطيد ملكهم والاستيلاء على الدول المحلية الصغرى فى فلسطين وإخضاعها لسلطانهم بالغزو وبالهجرة، وقد تغلغلت هذه الجماعات العبرية فى صورة سلسلة من الحملات وجهت إلى وسط المنطقة وشمالها وجنوبها، وتنسب هذه الأحداث إلى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ق.م. بناء على ما ورد فى نقش على نصب أقامه الفرعون مرنبتاح Mer - ne - ptah [1].

ويبدأ تاريخ النفوذ العبرى بشاءول (حوالى ١٠٢٠ ق.م.) وتلاه داود وسليمان (٩٦١ – ٩٢٢ق.م.)، وبموت سليمان انتهى نفوذ العبريين السياسى.

وقرب نهاية القرن العاشر ق.م. بدأت الدول الكبرى تضع أيديها على سوريا وفلسطين مرة أخرى، وأدى التوسع الأشورى إلى ضم الدول السورية واحدة بعد الأخرى واستولوا على بعض المناطق الخاضعة للنفوذ العبرى فى عهد بلوغ الامبراطورية الأشورية ذروتها عام (٧٣٢ق.م.).

وفى القرن السادس واصل البابليون هذه الخطة فى فلسطين وضمت باقى مناطق العبريين إلى امبراطورية بختنصر – إذ وقعت بين شقى الرحى مصر وقوة بابل الصاعدة وفى عام ٥٨٦ ق.م. خرب بختنصر بيت المقدس ونفى كثيرا من العبريين إلى بابل، وكان هذا بداية عصر النفى.

وفى عام ٥٣٨ ق.م. فتح الفرس بابل – وزال سلطان البابليين إلى الأبد – وسمح ملك الفرس (كورش) للعبريين بالعودة من المنفى وبناء المعبد من جديد، ومع ذلك أصبحت منطقة فلسطين خاضعة لامبراطورية الفرس، وتلا ذلك انتقالها إلى حكم الدول الأجنبية الغازية فى العصرين الهلينستى والرومانى بعيدا عن نطاق التاريخ السامى المحض [2].

اللغة العبرية

اختلف فى أصل اللغة العبرية هل هى سامية أو لغة أخرى تأثرت

---

(١) الحضارات السامية القديمة ص١٤٠ – ١٤٤.

(٢) الحضارات السامية القديمة ص١٢٤، ١٢٥، ١٧٤.

بالفينيقية، أو أن لغتهم الأصلية اندثرت وحل محلها اللسان الكنعانى، فهى تتفق معها فى معظم مظاهر الصوت وأصول المفردات والقواعد؟

وقد يكون ذلك من باب التأثر بالكنعانية - إذا كانت لغتهم حيثية أو غيرها من لغة السكان الأصليين فى مناطق أخرى كانت تعيش فيها، وقد تغلبت الكنعانية عليها نتيجة حتمية للصراع اللغوى وأدى ذلك إلى تشوه الكنعانية على لسانهم فأصاب التغيير الأصوات والمفردات والقواعد[1].

وقد مرت العبرية بأطوار:

الطور الأول: عصر قيام الدولة (حوالى القرن الثالث عشر ق.م.) إلى (أواخر القرن الرابع ق.م.).

وكانت العبرية فيها لغة حية فى التخاطب يتكلم بها العبريون ويكتبون وهى العبرية القديمة.

ولهذا الطور مرحلتان:

المرحلة الأولى: منذ نشأتها إلى نفى بابل سنة ٥٨٦ ق.م. ويسمى «العصر الذهبى للغة العبرية».

فبالنسبة للغة الخطاب اتسع نفوذها وسلطانها وكانت فصيحة خالية من الشوائب.

وبالنسبة للكتابة (ابتداء من النصف الأخير من القرن التاسع ق.م. حتى أوائل القرن السادس ق.م.) دون بها معظم أسفار العهد القديم وهى أسفار التكوين والخروج والتثنية ويوشع والقضاة وصموئيل والملوك والأمثال ونشيد الأناشيد وقسم كبير من الأنبياء.

وفى تلك المرحلة بقيت العبرية على طبيعتها الصحراوية فهى طبيعة ساذجة بعيدة عن الفلسفة والتعمق خشنة الألفاظ تمتاز بالحكمة وكثرة الأمثال.

المرحلة الثانية: تبدأ من نفى بابل سنة ٥٨٦ ق.م. إلى أواخر القرن الرابع ق.م. وتسمى المرحلة الفضية للغة العبرية.

---

(١) انظر: فقه اللغة: د. وافى ص٤١ - ٤٣.

فبالنسبة للغة التخاطب :

حاول المنفيون إلى بابل – على يد بختنصر – والباقون منهم دون نفى – فى فلسطين – التمسك بالعبرية لكن شأنها أخذ يضمحل شيئا فشيئا وبدأ النفوذ الآرامى بغزوها فلم يمكنهم المحافظة عليها فى لغة التخاطب، لأن تيار الآرامية كان أقوى فتغلبت على العبرية حتى امحت من التخاطب نهائيا .

وبالنسبة للتدوين ظلت العبرية مستخدمة فكتبت بها بعض أسفار العهد القديم (يونس – زكريا – قسم من دانيال) وكذلك دونت بها بعض الآثار الأدبية .

الطور الثانى : يبدأ منذ أواخر القرن الرابع ق .م . إلى الآن وله مرحلتان – أيضا – :

المرحلة الأولى : منذ أواخر القرن الرابع ق .م . إلى أول العصور الوسطى، وتسمى العبرية – حينئذ – العبرية الربانية أو التلمودية .

وفى هذه المدة لم تكن العبرية لغة محادثة، وإنما بقيت لغة كتابة وتدوين فحسب .

والعبرية – فى هذه المرحلة – متأثرة كثيرا باللهجة الآرامية وفيها آثار من لغات الحيثيين الهندية الأوروبية وفيها كلمات كثيرة من اليونانية واللاتينية والفارسية .

وقد كتبت بها مؤلفات – على يد أحبار اليهود – بلغت ستين ومائة كتاب فى الدين والقانون والتاريخ وظهرت بين أواخر القرن الأول الميلادى ومنتصف القرن الثالث الميلادى .

ووضعت هذه الكتب فى مؤلف يسمى (المشنا) – ومعناه الكتاب الثانى بعد الكتاب الأول – وهو العهد القديم – ومنه يفيد اليهود فى حياتهم الدينية، ثم شرح هذا الكتاب (المشنا) باللغة الآرامية أحبار اليهود الذين يعرفون العبرية ويتكلمون الآرامية ويطلق على هذا الشرح اسم (الجمارا) – يعنى النص المكمل أوالإكمال – ووضعت تلك الشروح والتعليقات على (المشنا) فتألف منها

(التلمود) وهذه الشروح كتبت بلهجات آرامية متنوعة – لأن الآرامية لم تكن لهجة واحدة بل تعددت فيها اللهجات – ولذلك فالتلمود نوعان:

التلمود البابلى: عبارة عن (المشنا) مع الشروح عليها بالآرامية البابلية أو الآرامية الشرقية (اللهجة الجنوبية).

والتلمود الفلسطينى، أو تلمود بيت المقدس: وهو نص (المشنا) مع الشرح بالآرامية الفلسطينية أو الآرامية الغربية.

وظهر ما يسمى (الترجوم) وهو ذكر الآية من العهد القديم وإتباعها بترجمتها بالآرامية ومن ذلك ترجوم أنفلوس – لأسفار التوراة وحدها – وترجوم يوناثان – لبقية أسفار العهد القديم –.

ويرجع تاريخ هذه الشروح والتراجم إلى القرن الثانى بعد الميلاد وبعضها يرجع إلى القرون الرابع والخامس والسادس بعد الميلاد.

وفى (المشنا) كثير من المفردات الآرامية وفيها عدد قليل من المفردات اليونانية واللاتينية والفارسية ومع ذلك تحتفظ بقيمة لغتها العبرية.

المرحلة الثانية: منذ بداية العصور الوسطى إلى الآن وفيها تسمى (العبرية الحديثة).

وفى هذه المرحلة تأثرت كثيرا باللغة العربية لتأثر الكاتبين بها بالثقافة العربية فى الشرق وفى الأندلس كذلك وظهر هذا فى بعض كتب النحو العبرى التى ألفت فى الأندلس على يد مروان بن جناح القرطبى، وفى المعاجم التى جمعت بين العبرية والعربية، وفى التأليف الأدبى بالعبرية، فقد تأثر الشعر العبرى بالشعر العربى وللحريرى مقامات باللغة العبرية على نمط المقامات التى ترجمها واهتم فيها بإبراز وجوه البيان والبديع.

وقد حاول اليهود الأوربيون من الألمان والإنجليز والفرنسيين وغيرهم إعادة النطق العبرى – من جديد – فى التخاطب والإذاعة والخطابة إلى غير ذلك ونقلوا إليها بعض صور النطق الأوروبى فخففوا النطق ببعض أصوات الحلق وأصوات الإطباق، فالصاد – مثلا – أصبحت قريبة من الصوت Z فى الألمانية وبدا تأثرها كثيرا بلغة البيدش – وهى لهجة ألمانية كان يتكلم بها يهود وسط أوروبا وشرقها

ودخل كثير من الألفاظ والتراكيب الأجنبية إلى العبرية[١] ومع ذلك عادوا إلى أصل العبرية القديمة عند اليهود الشرقيين.

والواقع أن نطق اللغة العبرية – فى عهد التخاطب بها – لم نستطع أن نعلم عنه شيئا، لأن الآثار التى وصلتنا تفتقد جانب النطق، فإن ما وصلنا إنما وصلنا مكتوبا فى العهد القديم والمشنا والمؤلفات العبرية وبعض النقوش على اللوحات الصخرية والنقود ولا يعرف عن كيفية نطقها شيء.

وبعض الكلمات التى جاءت مكتوبة فى العهد القديم بالرسم اليونانى تختلف فى طرائق نطقها عما كان ينطقه أحبار اليهود فى تلاوتهم للأوراد.

وتلاوة اليهود لبعض الأوراد والتوراة جاء فى عصر متأخر جدا (فى القرن السابع الميلادى) – بعد أن انتهت العبرية من التخاطب بها بأكثر من عشرة قرون.

ولا شك أن تناقل النطق خلال هذه المدة الطويلة لا يسمح بالمحافظة على النطق على الوجه الصحيح بل لابد أنه اعتراه كثير من التغيير والتحريف والتبديل[٢].

الكتابة العبرية

وقد اتبعت الكتابة العبرية طريقة الحروف الفينيقية باثنين وعشرين حرفا ترمز إلى الأصوات الساكنة وتكتب من اليمين إلى الشمال بحروف منفصلة ما عدا الألف واللام فتكتبان متصلتين، وهذا هو الخط العبرى القديم.

ثم تأثرت الكتابة العبرية بالرسم الآرامى متابعة لتأثر اللغة العربية بالآرامية وسمى هذا بالرسم العبرى الحديث أو العبرى المربع، وكتبت به مسائل الدين فحسب، وفى غير ذلك يستخدم الرسم العبرى القديم.

وفى القرن السادس الميلادى استخدمت حروف (الألف والهاء والواو والياء) للرمز إلى أصوات المد الطويلة ثم استخدمت علامات للحركات القصيرة منها

---

(١) انظر: فقه اللغة: د. وافى ص٤٥ – ٥٠، وأسس علم اللغة العربية ص١٧٦، ١٧٧.

(٢) فقه اللغة: د. وافى ص٤٣ – ٤٥.

الطريقة العراقية أو البابلية والطريقة الفلسطينية وفيها توضع علامات الحركات القصيرة فوق الحروف وقد انقرضت منذ القرن التاسع الميلادى ومنها الطريقة الطبرية التى تضع علامات الحركات القصيرة تحت الحروف وهى أشهر الطرق ولها أسلوبان فى نطق الكلمات المكتوبة أحدهما لليهود الغربيين أو الأسلوب الألمانى، والثانى لليهود الشرقيين أو الأسلوب البرتغالى.

وأحيانا يستخدم الرسم العربى أو اليونانى فى تدوين العبرية[١].

الآراميون

موجة سامية كانت لها جذور أولية ضاربة فى القدم، وتدل بعض الآثار على أن بعض الآراميين اتجه إلى بعض المناطق فى الجزء الأعلى من أرض الرافدين أو أعلى دجلة (بالعراق) فى عصر متقدم – القرن الثالث والعشرين أو السابع عشر ق.م، ويدل على ذلك بعض النقوش واللوحات[٢]

وبدأ الزحف الآرامى على المسرح بوضوح فى حوالى القرن الخامس عشر أو الرابع عشر ق.م. وأقاموا لهم عدة دويلات محلية تغلبوا فيها على الشعوب الأصلية من سكان هذه المناطق.

وكان انشغال الأشوريين بحروب الحيثيين – فى آسيا الصغرى – وضعفهم مما هيأ لهم الاستيلاء على سوريا.

«وقد بلغ الآراميون أقصى أهميتهم السياسية فى القرنين الحادى عشر والعاشر ق.م. لاضمحلال الامبراطورية الأشورية خلال تلك المدة، ففى الشرق غزت القبائل الآرامية الجزء الشمالى والأوسط والجنوبى من أرض الرافدين، واستولوا على عرش بابل فى أوائل القرن الحادى عشر ق.م. وأنشأوا عدة ممالك أو دويلات.

وفى الجهة الأخرى للتوسع الآرامى – فى الغرب – نشأت لهم عدة دويلات

---

(١) فقه اللغة: د. وافى ص٥٠، ٥١.

(٢) منها نقش الملك الأكدى نرام – سين No - ram - sin وكذلك لوحة مكتشفة فى درهم (مدينة سومرية) ونصوص مارى. انظر: الحضارات السامية القديمة ص١٧٦.

أو ممالك صغيرة فى سوريا شمالها وجنوبها منها ممالك أرفد وحلب وصويا ودمشق وغيرها حوالى سنة ١١١٠ ق.م.

لكن قوة الآراميين التى برزت واضحة فى هذه الحقبة لم تنشىء توحدا سياسيا فيما بينها أو تنظم دولها أو فتوحاتها، فظلت على هيئة ممالك محلية صغيرة يعتريها الضعف والانقسام، إلى جانب من اختلطوا بهم من أجناس متباينة من السكان الأصليين والآشوريين والبابليين.

وقد بدأ الأشوريون ينهضون منذ نهاية القرن العاشر، وأول ما بدأوا إجلاء الغزاة الآراميين عن أرض الرافدين (العراق) فقضوا على ممالك الآراميين خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ق.م. وكان عام ٨٥٦ ق.م. نهاية آخر معقل لقوة الآراميين فى أرض الرافدين.

ثم وجهوا اهتمامهم – بعد ذلك – إلى القضاء على الآراميين فى سوريا، فهب بعض ملوك الأشوريين (شلمنصر) وأنزل هزيمة منكرة بحلف من الدول الآرامية عام ٨٤١ق.م. وبدأت ممالك الآراميين – هناك – تسقط تباعا فى يد الآشوريين ففى عام ٧٤٠ ق.م. – ٧٣٣ ق.م. سقطت ممالك آرامية مثل أرفد شمال دمشق، ودخلت فى نطاق النفوذ الآشورى بعد أن لقيت نهاية ماحقة.

ثم عاد البابليون لمنازعة الآشوريين، وتغلبوا عليهم، وظهرت الدولة البابلية المتأخرة – فى العراق – فأبقت على شيىء من حياة الآراميين السياسية بعض الوقت، ولكن ذلك لم يدم طويلا فقد عاد الآشوريون إلى هزيمة البابليين ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك.

وأخذ شمال سوريا مركز قوة الآراميين يقع على التوالى تحت حكم الامبراطوريات الكبرى التى تعاقبت على الشاطىء الشرقى للبحر المتوسط، ولكن استمر الآراميون فى الوجود شعبا، كما بقيت لغتهم بما لها من أهمية فريدة أمكنها أن تكتسبها على مر القرون[1].

اللغة الآرامية ولهجاتها

على هذا التوسع فى المناطق التى عاش فيها الآراميون شرقا وغربا لحظنا

---

(١) الحضارات السامية القديمة ص١٧٦ – ١٧٩.

اختلاط اللغة الآرامية باللغات المجاورة لها فى الشرق – (العراق) – والغرب (سوريا وفلسطين).

وقد استطاعت الآرامية أن تؤثر تأثيرا شديدا فى اللهجات الأكادية شمالا وجنوبا وأن تقضى عليها منذ منتصف القرن الرابع ق.م. كما اختلطت باللغات الكنعانية – الفينيقية والعبرية وغيرهما – فى سوريا – فاستطاعت أن تنتصر على العبرية فى أواخر القرن الرابع ق.م، وعلى الفينيقية فى القرن الأول ق.م. وبذلك انفردت الآرامية بالساحة اللغوية فى كل هذه المناطق الشاسعة فى العراق، وتغلغلت فى بعض أجزاء من آسيا الصغرى – وسوريا وفلسطين وما جاورها، بل امتد نفوذها إلى تدمر[1] والنبط[2] وشبه جزيرة سيناء ومصر وبعض المناطق الخاصة باللغة العربية فى شمال الحجاز فى واحات تيماء والحجر (مدائن صالح) والعلا، واتسع نطاق المساحة التى يتكلم أهلها بها لا سيما بين سنتى ٣٠٠ ق.م. و٦٥٠ بعد الميلاد.

ونتيجة اتساع الرقعة التى انتشرت فيها الآرامية واختلاف بيئاتها انقسمت إلى لهجات، ويجعل العلماء هذه اللهجات قسمين[3]:

١– مجموعة اللهجات الآرامية الشرقية.

٢– مجموعة اللهجات الآرامية الغربية.

فالمجموعة الأولى: الآرامية الشرقية: تشمل ما انتشر منها ببلاد الرافدين – (العراق شماليه وجنوبيه) وتشمل:

(أ) اللهجة الجنوبية: (التى تتمثل فيما يعرف بالتلمود البابلى).

---

(١) انظر شيئا عنها ص ١٠٧ من هذا الكتاب.

(٢) مملكة الأنباط كانت فى شبه جزيرة سيناء وقد اختلطت فيها العناصر الآرامية بالعربية، وبعد استقرارهم كثرت العناصر العربية إلى أن تغلبت على العناصر الآرامية، ومحتها محوا تماما، وبقيت لغة الحضارة هى اللغة الآرامية التى كانت فى تلك العصور لغة العمران عند جميع أمم الشرق، ثم سقطت على يد الرومان سنة ١٠٦ ق.م وسموا نبطا لاستنباطهم ما يخرج من الأرض، وقد كانوا قوما ذوى حضارة زراعية وغيرها. انظر: ص ١٠٧ من هذا الكتاب.

(٣) انظر: فى الآثار التى وصلتنا من هذه اللهجات فقه اللغة: د. وافى ص ٥٨ – ٦٥.

(ب) اللهجة المندائية: وهى لبعض الصابئة من قبائل تقطن جنوب العراق أيضا.

(جـ) اللهجة الحرانية: (نسبة إلى حران فى شمال العراق)[1].

(د) اللهجة السريانية: (هى لهجة مدينة أدسا أوالرها – كما هى عند العرب –)[2].

وهي اللهجة ذات النتاج الأدبى والفلسفى والعلمى ولها اتصال باليونانية.

وقد انقسمت السريانية قسمين:

١- اللهجة اليعقوبية: (نسبة إلى مذهب يعقوب بارادوس).

٢- اللهجة النسطورية: (نسبة إلى مذهب نستوريوش).

ويعقوب ونستوريوش صاحبا مذهبين مختلفين فى طبيعة المسيح وانقسم السريان علي أساس هذين المذهبين إلى يعقوبيين ونساطرة.

ولكل من اللهجتين السريانيتين أصواتها ومفرداتها وقواعدها التى تختلف بعض الاختلاف عن أختها، وتستعمل كل منهما – عند الفريقين – فى قراءة العهدين القديم والجديد.

وللسريانية أثر بارز فى الآداب والعلوم العربية، ولاسيما فى العصر العباسى.

والمجموعة الثانية: الآرامية الغربية، وتشمل ما انتشر منها بسوريا وفلسطين وشبه جزيرة سيناء وما يتصل بها وقد مرت بثلاثة أطوار:

(أ) الآرامية الغربية القديمة (حوالى القرن الثامن ق.م) ومنها وصلت إلينا بعض النقوش.

(ب) الآرامية التى دون بها بعض أجزاء من العهد القديم (أجزاء من سفرى عزرا ودانيال وآية من سفر أرمياء).

(جـ) الآرامية الفلسطينية (المستعملة فى ترجمة العهد القديم عن العبرية، والجمارا وتلمود بيت المقدس)، وكذلك فى ترجمة العهدين القديم والجديد عن

---

(١) كانت مركزا مهما للثقافة والفلسفة اليونانية وبها ترجمت بعض الكتب الفلسفية من الآرامية واليونانية إلى اللغة العربية.

(٢) مركز ثقافى مهم فى القديم.

اليونانية (من القرن الثانى إلى القرن الرابع الميلادى) بعد أن تحرر هؤلاء من النفوذ السريانى، فانفصلوا عن اليعاقبة والنساطرة.

وقد انتهت الآرامية وانقرضت من لغة التخاطب فى العراق بعد الفتح العربى فى القرن السابع الميلادى وإن بقيت السريانية لغة كتابة وأدب ودين إلى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى.

كذلك انقرضت الآرامية فى معظم مناطق سوريا ولبنان وفلسطين بعد الفتح العربى وإن بقى الصراع الطويل بينها وبين العربية فى بعض المناطق حتى أواخر القرن السابع عشر الميلادى، وانحرفت من جراء ذلك الآرامية والعربية على لسان أهلها[١].

الأحباش

خرجت موجة سامية من جنوب الجزيرة العربية، فعبرت البحر الأحمر عن طريق باب المندب إلى ما أطلق عليه بعض الرحالة اليونان اسم (أثيوبيا)[٢] وسميت الحبشة – فيما بعد – باسم قبائل سامية مهاجرة أو قرية فى اليمن تسمى (حبشت)[٣] بدأوا الهجرة منها كما يدل على ذلك أحد النقوش السبئية.

وأهم القبائل المهاجرة قديما (حبشت) و(الأجعازى) أو (الجعز)[٤] وسيمت باسمهم اللغة التى استعملوها (الجعزية).

وقد اتسع النفوذ العربى فى أثيوبيا قبل القرن السادس ق.م. وربما سبق ذلك هجرات سامية قديمة استقرت هناك قبل أن يهاجر إليها العرب الجنوبيون، فقدموا إلى هذا الشعب السامى وأثروا فيهم.

وتدل بعض النقوش على وجود دولة محلية فى الحبشة[٥] حوالى القرن الخامس ق.م. وترشد الحفائر والنقوش المكتشفة إلى قيام مملكة قديمة – عاصمتها

---

(١) فقه اللغة: د. وافى ص٥٢ – ٦٧ بتصرف.

(٢) وجاءت هذه الكلمة فى الكتاب المقدس فأحبها الأحباش عند دخولهم إلى المسيحية وسموا بها دولتهم.

(٣) الحضارات السامية القديمة ص٢١٤.

(٤) أسس علم اللغة العربية ص١٩٣.

(٥) من ذلك نقش عربى ينسب إلى القرن الخامس ق.م أو بعده بقليل، وهناك معلومات أخرى عن هذه الدولة فى كتاب « رحلة فى المحيط الهندى » لمؤلف مجهول.

أكسوم – وتتحدث عن ملوكها وفتوحاتهم التى امتدت شمالا فى مصر، وجنوبا فى أثيوبيا وشرقا إلى اليمن، وقد احتل الأكسوميون اليمن أول مرة فى مطلع القرن الرابع ق.م.(٣٧٥ق.م) لبضع عشرات من السنين، ثم طردهم الحميريون منها سنة (٤٠٠) ق.م. وتولى الحكم فيها أسرة حميرية.

وخلال هذه المرحلة الزمنية التى اتسعت فيها الفتوحات الأثيوبية دخلت المسيحية الحبشة أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الميلادى، وكان اضطهاد الملك الحميرى – اليهودى – ذى نواس لنصارى اليمن – وقصته مشهورة ورد ذكرها فى القرآن الكريم عن أصحاب الأخدود – كان هذا الاضطهاد دافعا للأثيوبيين إلى منازعة (اليمن) وأدى ذلك إلى احتلالهم لها احتلالا ثانيا، فخضعت لحكم أكسوم عام ٥٢٥م، ومنها سار أبرهة بحملته المشهورة إلى مكة ولقى مصيره المحتوم بتدبير المولى سبحانه، وقد تركت هذه الحملة أثرا كبيرا فى نفوس العرب وتذكر بعام الفيل.

وانتهى الصراع الشديد بين الفرس والروم – فى هذا الأوان – باحتلال الفرس لليمن سنة ٥٧٢م.

وبعد الإسلام لم يجد النفوذ الأثيوبى أو الهجرة الأثيوبية طريقا إلى الجزيرة العربية[١].

وكانت حياة الحبشة راكدة من القرن السابع إلى القرن الثانى عشر الميلادى، ثم ظهرت مرحلة جديدة بسقوط مملكة (أكسوم) وقيام مملكة (لاكسا)، ثم سقطت الأخيرة سنة ١٢٧٠م، وأتى بعدها الحكم الأمهرى[٢] الذى استمر حتى عام ١٨٨٥م.

اللغات الحبشية

من أهمها:

(أ) لغة الجعز: لقد دخلت بعض القبائل السامية الحبشية أثيوبيا وأقامت فيها وحكمتها وحاولت فرض لغتها الجعزية ومع سيطرة القبائل الحبشية فى أثيوبيا كان هناك لغات أخرى أفريقية أثرت فى لغتها وتأثرت بها.

---

(١) فقه اللغة: د. وافى ص ٨٧ والحضارات السامية القديمة ص٢١٣ – ٢١٦.

(٢) على يد أسرة أمهرية من منطقة (كوا) فى الجنوب الغربى من بلاد الحبشة.

ويرى بعض الباحثين أن اللغات السامية فى الحبشة ترجع إلى أصل واحد هو لغة الجعز، وقد سميت بذلك نسبة إلى قبيلة الأجعازى أو الجعز، ويطلق عليها اسم (اللغة الحبشية القديمة) أو (اللغة الحبشية) .

وبالنسبة للتخاطب بها فقد استخدمت فى التخاطب وظلت حتى قضى على مملكة أكسوم، وقامت مملكة (كوا) الأمهرية فتنازعت الجعزية والأمهرية إلى أن حلت الأمهرية محل الجعزية على لسان أهلها فى معظم البقاع .

وبالنسبة لاستعمالها فى الكتابة والتدوين نرى أنه قد مرت مدة طويلة قبل تدوين الحبشة كتابا أو نصا بلغة الجعز فالنقوش التى وصلتنا جاءت فى القرن الرابع الميلادى وما تلاه حتى القرن السابع[1] ومعنى هذا أن عشرة قرون قد مرت – بعد دخول الأحباش أثيوبيا – قبل كتابة شىء بلغتهم، وقد وصلتنا كتابات ضئيلة تنحو المنحى الدينى والكنسى فترجم إلى الجعزية – من السريانية واليونانية – الكتاب المقدس، كما ترجمت عدة نصوص دينية وكذلك مجموعة أقاصيص دينية تتعلق ببعض الحيوانات والنباتات، ثم خبت الكتابة وركد التدوين أربعة قرون ولم تنتعش الكتابة إلا فى القرن الثالث عشر إلى السابع عشر الميلادى فى الثقافة الدينية والتدوين التاريخى، ثم انتعشت الكتابة بالجعزية حينما ظهرت الأسرة السليمانية عام ١٩٧٠م فنشطت حركة التأليف والترجمة بها فى الجوانب الدينية، وترجمت كتب عربية مصرية دينية – أيضا – ودون بها شىء من تاريخ الأحباش .

لكن الأمهرية لم تترك للجعزية المجال فسيحا بل نازعتها فى ميدان الكتابة – أيضا – منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادى حتى لم تعد الجعزية معروفة لدى كثير من العلماء ورجال الدين أنفسهم .

وقد تفرعت من الجعزية القديمة :

٢– اللهجة التيجرينية: وهى منتشرة فى منطقة تيجرينيا التى تقع وسطها مدينة أكسوم، وهى اللغة الرسمية فى دستور أريتريا منذ عام ١٩٥٢م – قبل استيلاء دولة أثيوبيا على السلطة فى أريتريا وقد استقلت أريتريا بعد ذلك – ومنهم مسلمون ومسيحيون وهى لغة مشافهة ولم تستعمل فى الكتابة إلا قليلا .

---

(١) منها نقش الملك عزانا ٣٥٠ق.م ونقشان منسوبان إلى الملك آل عميدا ونقشان منسوبان إلى الملك نازانا بن الملك آل عميدا يرجعان إلى القرن الخامس الميلادى .

وتتنازع السلطان – مع الأمهرية – التى لم تستطع القضاء عليها وقد عنى العلماء بدراستها منذ القرن التاسع عشر.

٣- اللهجة التيجرية: هى لهجة المناطق الواقعة فى الشمال من منطقة اللهجة السابقة، وهى مستعملة – أيضا – فى إقليم كسلا فى السودان وعند بعض العشائر الحامية.

وهى تقرب من الجعزية القديمة، وتقاوم الأمهرية – لاسيما بعد دخول الإسلام –.

ويتكلم بها عناصر حامية كانت لغتها الكوشية، وتغلب اللسان السامى عليها، وبينها وبين الكوشية تأثر وتأثير.

(ب) اللغة الأمهرية:

هى فى الأصل لهجة القبائل الأمهرية نسبة إلى منطقة أمهر.

وقد اتسع انتشارها بعد تولى أسرة أمهرية من منطقة (كوا) الحكم سنة ١٢٧٠م. فحلت محل الجعزية فى التخاطب وازدهرت فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى، وهى اللغة الرسمية فى الحبشة الآن.

وامتد نفوذها إلى الكتابة وما وصلنا عنها من مدونات يرجع إلى القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر الميلادى فى شكل قصائد حربية وأناشيد ملكية أمهرية، وترجم إليها العهد الجديد بعد أن أصبح فهم الجعزية مستعصيا.

وصار لها نفوذ كبير فى الدواوين والمكاتبات الرسمية فى جميع أقاليم الحبشة، ودخلت التأليف فى العلوم والأدب والدين، وصارت لغة الصحافة والكتب المدرسية.

ولاتزال محتفظة بوحدتها اللغوية دون تفرع إلى لهجات ولدخولها مناطق حامية اصطدمت باللغة الكوشية و استطاعت – وبخاصة فى المناطق الجنوبية – أن تؤثر فيها وتقاسمها الاستعمال فى المحادثة على أنها لغة ثانية فى المناطق التى لاتزال محتفظة بلغتها الكوشية، ولكثرة احتكاكها وسعة انتشارها اعتراها كثير من التغير عن الجعزية وعن غيرها من اللغات السامية فضاعت منها بعض الأصوات السامية، فليس فيها من أصوات الحلق إلا الهمزة والهاء، ودخلتها أصوات حامية، وانقرضت منها معظم قواعد الجمع والتأنيث، أما مفرداتها

فنصفها السامى تطور كثيرا فى جوانبه الصوتية، والنصف الآخر حامى إلى جانب ألفاظ أوروبية كثيرة[١].

وعن الأمهرية تفرعت اللهجات التالية:

١- **اللهجات الجوراجية**: تسمى باسم منطقة (جوراجيا) فى جنوب منطقة (كوا) الأمهرية.

٢- **لهجة هرر**: هى متفرعة عن الأمهرية كذلك.

وقد بعدت هذه اللهجات عن أصلها لاحتكاكها باللغات الحامية ولاعتناق أهلها الاسلام.

الخط الحبشى

وقد استخدم الساميون الأول - فى أثيوبيا - الخط السبئى لنزوحهم من اليمن، ثم كونوا الرسم الحبشى أو الجعزى، وظهر هذا الخط - على الراجح - فى القرن الثالث الميلادى، وظل يستخدم بجوار الخط السبئى[٢] وكان الرسم الحبشى القديم يكتب من اليمين إلى الشمال - كالخط السبئى - ثم انحرف بعد ذلك فأصبح يكتب من الشمال إلى اليمين وظل على هذا حتى الآن.

وقد كتبت لغة الجعز بخط مقطعى يتكون من ١٨٢ رمزا مكونا من الصوامت والصوائت، فكل صامت مع الحركة التالية له يكون رمزا مستقلا، وفيه ستة وعشرون حرفا من الصوامت يرتبط كل منها بإحدى حركات سبع (فتحة قصيرة - فتحة طويلة - فتحة ممالة قصيرة - فتحة ممالة طويلة - ضمة طويلة مثل O الأجنبى وأخرى طويلة مثل u الألمانية - كسرة طويلة).

فشكل الحرف الساكن يتغير تبعا لصوت المد الذى يلحقه وهو خط معقد.

واللغة السامية التى تكتب بخط سهل هى اللغة الهررية، ويكتبها أهلها المسلمون بالخط العربى[٣].

---

(١) أسس علم اللغة العربية ص١٩٢ - ١٩٦ وفقه اللغة د. وافى ص٨٣ - ٩١.

(٢) جاء نقش الملك عزانا ونقشا الملك آل عميدا بصورتين إحداهما بالرسم السبئى والآخر بالرسم الحبشى القديم.

(٣) فقه اللغة: د. وافى ص ٨٤، ٨٥، وأسس علم اللغة العربية ص١٩٧.